
قافلة الزيت
ذو الحجة ١٣٩٦ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر — المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
- توزع مجاناً -
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

التعليق على صورة الغلاف «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا» . (قرآن كريم)
تصوير «شيخ أمين»

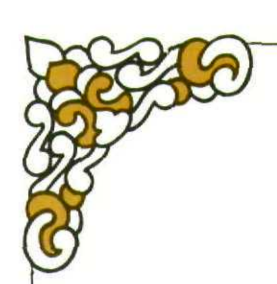
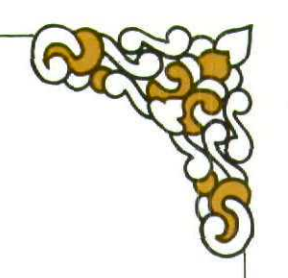
● كلّ ما يُنشر في قافلة الزيت يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبّر بالضرورة عن رأي "القافلة" أو عن اتجاهها

● يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "القافلة" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

● لا تقبل "القافلة" الا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

● المراسلات باسم رئيس التحرير

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

عيد مبارك

إنه لمن دواعي غبطتي وسروري أن انتهز فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة أرامكو ولأفراد عائلاتهم أحر التهاني وأجمل التمنيات، أعاده الله عليهم جميعاً بالخير والبركات، وكل عام وأنتم بخير.

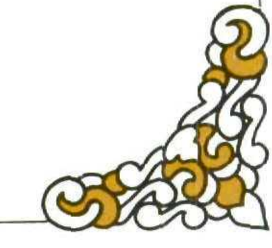
ف. جنقز

رئيس مجلس الادارة

كل عام وأنتم بخير

يسر هيئة تحرير «قافلة الزيت» أن تغتنم هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى المقام جلالة الملك خالد المعظم وولي عهده الكريم وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أجمل التهاني وأخلص الأماني مبتهلة إلى العلي القدير أن يعيدهم جميعاً إلى أمثال هذه المناسبة الكريمة باليمن والبركات.

هيئة التحرير



مِنْ وَحي الحج

في مثل هذه الأيام من كل عام يتقاطر المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها الى مكة المكرمة ، مهبط الوحي ومبعث النور ، وينبوع الرسالة السمحة والشريعة الغراء ، لأداء فريضة الحج التي فرضها الله على المسلمين القادرين المستطيعين بقوله تعالى « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً** » .

ففي مكة المكرمة ، في هذه البقعة الشريفة ، التي تألق منها ضياء اليقين ليملأ الأرض نوراً وعدلاً ، يلتقي المسلمون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم في ضيافة الرحمن ، في أروع لقاء ديني روحي يتعارفون فيه ويتواصون بالخير والحق ، ويتجسد المعنى السامي لوحدتهم الإسلامية ، في لقاء العبودية لله ، لقاء المساواة ، لا فرق بين عربيهم وأعجميهم إلا بالتقوى .

ان رحلة الحج إنما هي رحلة روحية يخرج منها الحاج من عالم المادة الى عالم الروح تاركاً وراءه زينة الدنيا وزخرف الحياة ومظاهر بهرجتها ، متجهاً الى فاطر السموات والأرض حنيفاً مخلصاً يستوهب رحمته ويرجو مغفرته ويلتمس رضوانه . فما أعظم هذه الفريضة وما أكثر نفحاتها وبركاتها على هذه الأمة ، حيث يستضيف الله سبحانه حجاج بيته كل عام ، وينزلهم منزل الرحمة والغفران ، ويجمع قلوبهم على الأخوة والمحبة ، ويربط مشاعرهم على الوحدة تحت راية الإسلام لتكون منهم الأمة التي بشرهم الله تعالى بها في قوله : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

في هذه البقعة المشرفة ، يلتف المسلمون حول أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، قانتين مهطعين ، ملبين طائعين ، متذوقين لسر الله في جمع هذه القلوب على إيمان واحد ، ومعتصمين بحبل الله المتين ، ومستمسكين بعروة نبيهم الأمين .

أجل . . ان في تأدية كل منسك من مناسك الحج معنى جميلاً ومغزى كريماً وحكمة بليغة وعبرة رائعة وموعظة حسنة . . ان على كل مسلم يقصد الى أداء هذه الفريضة العظيمة أن يلم بأحكامها العامة والخاصة التي تكمن وراء كل شعيرة من شعائرها ، ذلك لأن القصد الى العبادة عن فهم وبصيرة يكون أبعث على النشاط في أدائها وأقوى في اتباع أركانها بروح الإخلاص الذي هو أساس العبادة وقبول الأعمال ●



بقلم: الدكتور محمد شوقي الفنجري

يتميز الاسلام عن سائر الأديان بأنه عقيدة وشريعة ، وانه في مجال الشريعة يتميز عن سائر العلوم بأن له طرقه الخاصة في البحث عن أحكامه . كما أنه يتميز عن سائر المذاهب والأنظمة الاجتماعية بأن له منهجه أو سياسته الخاصة .

فالاسلام هو دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه الى النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم اليه . ولا يقتصر على طائفة أو أمة معينة ، ولا على مجرد الهداية الروحية وانما هو دين ودنيا ، بمعنى أنه لا ينظم حياة الانسان الدينية فحسب وانما حياته الدنيوية في مختلف نواحيها سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية ، وهذا ما يعبر عنه بالاصطلاح المشهور بأن الاسلام عقيدة وشريعة .

وقد جاء الاسلام خاتم الأديان ومن ثم فقد جاء كاملاً ، وقد عبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن علاقة الاسلام بسائر الأديان السماوية ، في تصوير متواضع بقوله : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كرجل بنى بيتاً فجمله وحسنه الا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فكان الناس يطوفون بالبيت ويعجبون به ويقولون هل وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين » .

بعدأ ن أوضحنا أن الاسلام عقيدة وشريعة أي أن له جانباً تعبدياً وآخر اجتماعياً واقتصادياً ، يهمنا هنا أن نؤكد ارتباط كلا الجانبين ارتباطاً وثيقاً ، فكل منهما غاية ووسيلة للآخر .

ونشير الى مسألة هامة ، وهي أن الجانب التعبدي في الاسلام له مضمون وهدف اجتماعي ، فالقرآن الكريم يقول : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب** » . ويقول الله تعالى : « **لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس** » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس » . ولم يقل أكثرهم صلاة وصياماً . . . إلخ ، ويقول : « لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين » . ويروى أن أحد الصحابة أراد الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى فقال له

الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته ستين عاماً » .

وليس أدل من أن العقيدة الدينية في الاسلام هي عقيدة اجتماعية تستهدف صالح المجتمع من الحديث القدسي : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال تعالى : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لو جدتني عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال يا رب كيف اطعمك وأنت رب العالمين ، قال تعالى : استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال تعالى : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي » . وما أجمل وأجمع من الحديث القدسي : « **ابغوني في ضعفائكم ، انما تنصرون وترزقون بضعفائكم** » .

وارتباط

ما هو تعبدي وما هو اجتماعي في الاسلام ، هو ما دعا شيخ الاسلام ابن تيمية بأن يقرر بأن العبادة في الاسلام ، هي بقدر ما نعمل على اقامة المعروف والنهي عن المنكر ، وانه لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق اذا لم تلتزم الشريعة ويسود المجتمع التضامن والتكافل الاجتماعي . وهو ما دعا الامام ابن حزم الى التأكيد بأن الأساس في الاسلام هو أن لكل فرد أن يحيا حياة حرة كريمة فاذا عجز بسبب خارج عن ارادته كمرض أو شيخوخة أن يوفر لنفسه الحد الأدنى اللائق لمعيشته والذي يسميه رجال الفقه القدامى « بحد الكفاية » تمييزاً له عن « حد الكفاف » ، فانه يصير التزاماً على الدولة أن تكفل له هذا الحق عن طريق مؤسسة الزكاة . فترك أحد أفراد المجتمع يتضور جوعاً هو انكار للدين الاسلامي وعدوان على حق الله تعالى ، فالقرآن يقول : « **أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدُعّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين** » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم » . ويقول : « أيما جماعة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » . وهو ما عبر عنه الامام الشافعي بقوله : « ان للفقراء احقية استحقاق في المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير » . حتى أن الامام « ابن حزم » يقرر أن للمحروم أن يقاتل من يمنعه حقه فان قتل المحروم مات شهيداً ووجبت ديته ، وان قتل الممتنع مات ملعوناً ولا دية على قاتله لأنه منع حقاً وهو طاغية باغية .

نخلص من ذلك انه لا يمكن تصور الاسلام على أنه مجرد عقيدة كما لا يمكن تصوره على أنه مجرد شريعة . فالعقيدة والشريعة في الاسلام يكمل كل منهما الآخر ولا يقوم أحدهما دون الآخر .

ولقد كان هذا هو السبب في تطوير الدراسة بأقدم جامعة اسلامية وهي جامعة الأزهر بحيث أصبحت الدراسة الدينية فيها تتناول سائر العلوم ومختلف الأنشطة ، ذلك أن السبيل الى الجانب التعبدي في الاسلام هو تأمين الانسان في حياته ، فلا يمكن أن نتصور الاسلام في بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفلون تعاليم الاسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تكفل الشورى في الحكم ، وضمان حد لائق لمستوى معيشة كل فرد .

ولعل ذلك في نظرنا هو سر تقدم المسلمين في عصرهم الأول عندما التزموا الاسلام كاملاً بشقيه التعبدي والاجتماعي ، وهو أيضاً سر تأخر المسلمين عندما فصلوا بين العقيدة والشريعة وأهملوا تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ان

الاسلام سواء في شقه التعبدي أو في شقه الاجتماعي انما يستهدف الكفاية والعدل . فانه ما من آية قرآنية أو حديث نبوي يتكلم عن الايمان الا ويقرنه بالعمل واتقانه أو بالعدل وحسن التوزيع . فمن حيث الكفاية والانتاج يقول القرآن الكريم : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ، ويقول : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ». والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « **العمل عبادة** » ، ويقول : « **ان الله يحب المتقن عمله** » ، ويقول : « **من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له** » . ومن حيث العدل وحسن التوزيع يقول الله تعالى : « **اعدلوا هو أقرب للتقوى** » ، ويقول سبحانه: « **لا تبخسوا الناس أشياءهم** » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « **لا تهضموا الناس حقوقهم فتكفروهم** » .

ومن هنا يتبين أن الايمان في الاسلام ليس ايماناً ميتافيزيقياً أو مجرداً ، ولكنه ايمان محدد مرتبط بالعمل والانتاج ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع ، ومرتبط بحسن المعاملة ومد يد المعونة للغير ، أي مرده في النهاية نفع المجتمع ، ومن ثم كان تأكيد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن رهبانية الاسلام هي الجهاد في سبيل الله ، أي في سبيل المجتمع ، مجتمع الكفاية والعدل ، ومجتمع الانتاج والخدمات والتراحم ●

د. محمد شوقي الفنجري – الرياض



ملامح واقعية في الأدب العربي

بقلم: الدكتور شكري محمد عياد

في حديثنا عن المذاهب الأدبية نجد أنفسنا دائماً نتحرك بين نقطتين . نقطة يرتبط فيها الاتجاه الأدبي بالتاريخ ، أي بزمان ومكان معينين ، ونقطة لا يرتبط فيها بغير الطبيعة البشرية التي لا تختلف أصولها رغم اختلاف الزمان والمكان .

ولعل من الطريف أن نلاحظ أن اصطلاح الواقعية ، لم يرد لأول مرة على قلم كاتب أو ناقد ، بل كان أول من استعمله هو الرسام الفرنسي المشهور «كوربيه» . وكان المثقفون الفرنسيون على اختلاف ميولهم قد فجعوا في ثورتين متعاقبتين ، حدثتا في الفترة ما بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٨ وانتهتا الى واقع مر . وهنا «وجدت خيبة أمل المثقفين تعبيرها الكامل في فلسفة العلوم الطبيعية ، تلك العلوم الموضوعية الواقعية الصارمة في اعتمادها على التجريب . فبعد فشل كل المثاليات والمدن الفاضلة أصبح الاتجاه نحو الحقائق ، ولا شيء غير الحقائق . وظهر هذا الاتجاه في السمات الأدبية للمذهب الواقعي الذي أخذ يناهض الرومنسية ، ظهر في رفض الفرار الواقع ، والمطالبة بالأمانة التامة في وصف الحقائق ، والاجتهاد في التخلص من الذاتية والسيطرة على العواطف ضماناً للتماسك الاجتماعي ، والحرص على المعاصرة التي تلتزم الحاضر على أنه الموضوع الوحيد الجدير بالاهتمام» (١) .

ومعنى هذا ان بذرة الواقعية نبتت في موقف اجتماعي يرفض التعلق بأحلام مستحيلة التحقيق ، وتغذت بفلسفة علمية تستند إلى التجريب ، لتصبح في النهاية اتجاهاً فنياً يستمد موضوعاته من مشكلات الحياة المعاصرة ، ويتناول جزئياتها بدقة واستيعاب كما يصنع العالم في مختبره .

فالنظرة الواقعية إلى الحياة شديدة الارتباط بالمذهب الوضعي في الفلسفة ، ذلك المذهب الذي جعل الفلسفة سعياً لمعرفة الكون المحيط بنا ، بدلاً من كونها بحثاً عن حقائق مجردة لا ينالها تغيير ولا تبديل . وبما ان نظريات التطور التي شاعت حوالي منتصف القرن قد نظرت إلى الكائنات الحية جميعاً – والانسان من بينها – على انها سلسلة متصلة الحلقات ، تخضع لقوانين مشتركة ، فقد كان طبيعياً أن تشمل النظرة الواقعية دراسة الانسان ، فالانسان أيضاً يجب أن يفهم سلوكه فهماً علمياً . ولما كان علم النفس – بالمعنى الصحيح لكلمة العلم – لم يظهر بعد ، فقد كان طبيعياً أن يحاول الواقعيون الأول فهم سلوك الانسان على أساس من علم الاحياء ، الذي استطاع ان يحقق انتصارات عظيمة في تلك الفترة .

---

(١) «التاريخ الاجتماعي للفن» لأرنولد هاوزر



وهكذا كان المذهب الواقعي قائماً على وصل الأدب بالعلم ، في محاولة لفهم الانسان . وتظهر هذه المحاولة بجلاء تام عند الروائي الفرنسي الشهير « بلزاك » (١٧٩٩-١٨٥٠) الذي يعد أبا الواقعية على الرغم من بعض الرواسب الرومنسية في أدبه . فطريقة « بلزاك » في بناء رواياته لا يمكن ان تفهم حق الفهم الا اذا تبينا العلاقة بينها وبين نظريات عالم الأحياء الفرنسي « جيوفري سنت هيلير » الذي ذهب إلى القول بأن تغير ظروف الحياة يؤدي إلى تغير الأشكال الحية . وأقام « بلزاك » فنه الروائي على الارتباط الوثيق بين الانسان وبيئته ، فكان يفيض في وصف الأشياء المادية التي تحيط بكل شخصية من شخصياته ، المدينة التي تعيش فيها ، والمنزل الذي تسكنه ، والأدوات التي تستعملها ، الخ . . . لأن شخصية الانسان – في نظر بلزاك – تنطبع بهذه الأشياء وتعبر عن نفسها من خلالها في الوقت نفسه . وهكذا لم تعد فردية الشخصية هي محور الاهتمام كما كان الحال عند الرومنسيين بل تعبير هذه الشخصية عن بيئتها ومجتمعها . ولقد اجمل « بلزاك » نظرته إلى عمله بقوله انه يحاول ان يكون « سكرتيراً » للمجتمع ، يكتب ما يمليه المجتمع عليه .

وذهب « زولا » إلى مدى أبعد من هذا حين زعم في كتابه « الرواية التجريبية » انه سيجعل فن الرواية شبيهاً بالعلم التجريبي من حيث انه يعتمد على وضع شخصية ذات صفات معينة في مواقف معينة ، وتسجيل ما يصدر عنها من تصرفات دون ان يتدخل الكاتب بفرض اتجاه معين ، ومع سخافة هذا الزعم – اذ ان بناء الرواية انما يتم في خيال الكاتب ولا يتم في الواقع الخارجي حيث يمكن اجراء التجارب – فان الميل إلى الموضوعية يميز « زولا » الروائي عن الروائيين الرومنسيين الذين يجعلون الأدب الروائي معرضاً للانفعال ومثيراً للانفعال .

ولا شك ان « فلوبير » كان أصدق تعبيراً عن علاقة الروائي الواقعي بشخصياته حين قال « ان الكاتب يجب ان يكون موجوداً في عمله دائماً ، ولكن دون ان يظهر » . ومع ذلك فهو القائل ايضاً عن بطلة روايته الشهيرة ، « مدام بوفاري » . . « ان امّا بوفاري هي أنا » . فالأدب عند هذا الكاتب الواقعي ليس تعبيراً عن الذاتية إنما هو تخلص من الذاتية . وروعة هذه الرواية هي في ان الكاتب يصور أحلام « امّا بوفاري » التي لا تستند إلى الواقع لا ليمجد هذه الاحلام بل ليكشف مدى زيفها . ولذلك قال عنه سنت بيف : « ان فلوبير يُمسك بالقلم كما يمسك غيره بالمشرط » ، ووصف أسلوبه بأنه انتصار لعالم التشريح وعالم النفس في مجال الفن . ان فلوبير يكبح كل رغبة في الاثارة ، فروايته خالية خلواً تاماً من عنصر الميلودراما والمغامرة ، بل انها خالية من العقدة المثيرة . وهو مولع بوصف الحياة اليومية ، في رتابتها وخلوها من التنوع ، ويتجنب كل مبالغة في تصوير شخصياته .

وهذا الاكتفاء بعرض الحقائق هو الذي يجعل الدراسة والاعداد ضروريين عند الكاتب الواقعي ، كضرورة الاختراع عند الكاتب الرومنسي . ومعروف عن « زولا » مثلاً انه أنفق ثلاث سنوات في جمع الوثائق لسلسلة رواياته عن « روجون ماكار » ، وجدير بالذكر انه سماها « التاريخ الطبيعي والاجتماعي لاسرة في عهد الامبراطورية الثانية » . كذلك فان من أثر الاعتماد على الحقائق ان الكاتب الواقعي قلما يعنى بالشكل ، وهو في هذا يناقض الكاتب الكلاسي ، ولكنه لا يختلف كثيراً عن الكاتب الرومنسي . على ان هذه الملاحظة لا تصدق على « فلوبير » شيخ الواقعيين . وقد لاحظ ناقد فرنسي كبير ، وهو « اميل فاجيه » ان اسلوب فلوبير في رسائله يختلف عنه في رواياته ، وهذا يدل على انه كان يعنى عناية شديدة بتنقيح أعماله الأدبية على أن ثمة فرقاً بين عناية فلوبير بالشكل وعناية الكلاسيين به . حقاً ان الشكل عند الكلاسيين الكبار ، كما هو عند فلوبير ، لا يقصد لذاته ، على أن وظيفة الشكل عند كل من الفريقين تختلف . فالشكل في الكلاسية هو طريقة لتنقية الواقع وتنظيمه . العقل الكلاسي يعمل ليكون الأسلوب صورة أمينة للموضوع تحمل طابع الوحدة التي لا يشوبها شيء من الفضول ، وطابع الاتزان الذي هو تركيب متناغم من صفات المنطق والصرامة والوضوح والقوة والرقة والرفاهة والرشاقة والصراحة المقترنة بالحياء . وقد تعلق « فلوبير » بعقلانية القرن الثامن عشر ، وكان يعدّ نفسه الوريث الشرعي لعصر التنوير ، ويعزو الانحدار الفكري الذي كان يلاحظه في عصره إلى انتصار « روسو » على « فولتير » ، أي انتصار العاطفة على العقل . وما كان هذا التعلق الا محاولة للاحتفاظ بتوازنه ، محاولة للتغلب على « امّا بوفاري » فيه . فقد كان في حياته كلها وفي عمله كله يتردد بين قطبين : بين ميوله الرومنسية وحبه للنظام ، وبين حنينه إلى الموت ورغبته في أن يبقى حياً صحيحاً ، بل أن طبيعته الريفية نفسها تجعله قريباً من الرومنسية ، التي بدأ ظلها ينحسر ، أو اقرب اليها من معاصريه الباريسيين . وقد بقي إلى أن تجاوز العشرين ، إنساناً تعذبه الرؤى ونوبات الكآبة

وانفجارات الانفعال . فاذا كان « ميسيه » الشاعر الرومنسي ، يقول : « ان الجمال هو الحقيقة » فان فلوبير ، الروائي الواقعي يقول : « ان الفن هو الشيء الوحيد الحقيقي والطيب في الحياة . »

وهنا لا بد لنا ان نسأل : لمن يكتب الكاتب الواقعي ؟ انه يكتب غالباً لجمهور محدود العدد من الذين أصبحوا يجدون خلاصهم في الفن ، الذي يؤمنون في قرارة انفسهم بأنه مضيعة للوقت ، وهكذا تبدأ غربة الفنان الحديث عن مجتمعه ، غربة لم يشعر بها حتى الفنان الرومنسي الذي تمرد على طبقته لأنه كان قديراً بمبالغاته العاطفية على أن يجتذب اعداداً كبيرة من القراء من تلك الطبقة نفسها .

وما قلناه عن « فلوبير » ومن بعده ينطبق إلى حد كبير على دعاة الواقعية في أدبنا العربي الحديث . ولكننا نرى من الضروري قبل توضيح هذه الفكرة ، أن نذكر القارىء بما قلناه في صدر هذا المقال من أن الظروف التاريخية قد تدفع بالاتجاه الأدبي إلى أقصى حدوده ، ولكنها لا توجده من عدم ، لأن اصوله مركوزة في طبائع البشر . والعناية مرصد الواقع والشجاعة في مواجهته مهما كان مؤلماً ، خصلتان لا تحتاجان إلى فلسفة علمية لتظهرا في النتاج الأدبي لأمة من الأمم ، بل ربما كانت الفلسفة العلمية مفسدة لهما ، حين تخرج بهما من نطاق الجمال الفني إلى التسجيل المحض ، كما نجد عند فريق من الواقعيين او حين تحيل العواطف الانسانية إلى افرازات عضوية ، كما نجد عند فريق آخر .

وإذا عدنا إلى أدبنا العربي القديم رأيناه يتميز ، عموماً ، بأهم سمتين من سمات الأسلوب الواقعي ، اعني وصف المشاهد العادية ، والعناية بالتفاصيل الجزئية . ولا عجب ، فان النظرة الواقعية سمة من سمات الحضارة العربية بوجه عام ، وان لم تتصف هذه النظرة بالمغالاة التي انحرفت بكثير من الواقعيين الاوربيين عن طريق الفن الصحيح .

تأمل وصف الأطلال في شعرنا القديم : كم فيه من صورة واقعية لا تهتدي اليها الا الملاحظة الدقيقة والعين اللاقطة ! تأمل بيت امرىء القيس :

ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل

ولاحظ هذا الإلف لكل شيء في الطبيعة ، حتى بعر الآرام الذي لا يجد امرؤ القيس غضاضة في تشبيهه بالفلفل . او هذا البيت لزهير :

بها العين والآرام يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

ألا تجد فيه تصويراً دقيقاً لمجتمع حيواني ، خلف المجتمع الانساني على تلك الربوع ؟

ولست في حاجة إلى أن تفتش كثيراً عن مثل هذين البيتين ، فمهما قلبت في شعرنا القديم — قبل ان يفسده الافراط في الصنعة — فأنت واجد مثل هذا الوصف التفصيلي لمشاهد الحياة العادية .

فإذا اتجهت إلى النثر ، لم يعوزك كتاب ككتاب « البخلاء » للجاحظ ، الذي يصفه محققه الدكتور طه الحاجري بقوله ، وهو وصف مقتصد جداً : « على ان كل قطعة من كتاب البخلاء . . . شاهد قوي لا يتحمل الجدل على قوة تصوره ودقة ملاحظته وخصوبة خياله وعنايته بالتفصيلات التي تجلّي الصورة وتبرزها من جميع نواحيها وتضعها أمام القارىء وقد اجتمعت لها خصائص الوضوح وبلاغة التعبير وقوة التأثير .

أما في أدبنا العربي الحديث فقد شهدنا شبه معركة شنها بعض المشايعين للثقافة الاوروبية ، في اوائل العشرينات من هذا القرن ، على الأدب الرومنسي الذي كان المنفلوطي آنذاك ابرز ممثليه . ومن هؤلاء « عيسى عبيد » الذي يقول في مقدمة مجموعته القصصية « احسان هانم » :

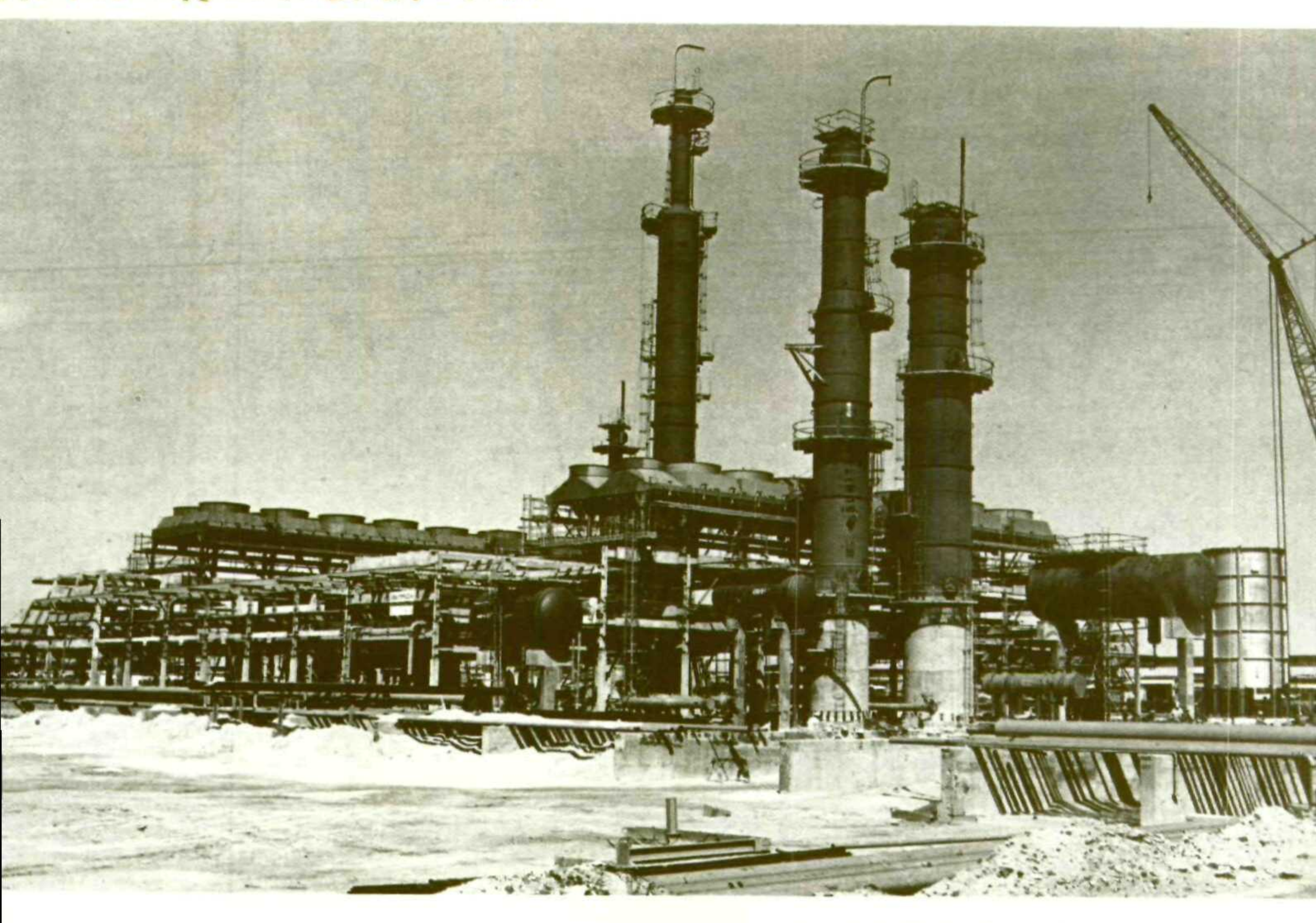
فهذه النزعة النفسية ستدفع بالكاتب المصري إلى مذهب الوجدانيات ، وستعرقل سير الأدب العصري في تطوره الجديد ، فأدب الغد سيقام في عرفنا على دعامة الملاحظة والتحليل النفسي الراميين إلى تصوير الحياة كما هي بلا مبالغة أو تقصير ، أي الحياة العارية المجردة وهو ما يسمونه « مذهب الحقائق » — لاحظ ان المصطلحات الأدبية لم تكن قد استقرت بعد .

وألف هذا الفريق من الشباب المتحمس « لمذهب الحقائق » أو المذهب الواقعي جمعية أدبية سموها « المدرسة الحديثة » وجعلوا رائدهم طالباً سابقاً في كلية الطب ، احترف الصحافة ، وهو المرحوم أحمد خيري سعيد . ولكن من الأمور التي تسترعي النظر ان أنصار هذه المدرسة اما انهم انصرفوا عن الكتابة بعد ان تقدم بهم العمر ، واما أنهم عدلوا عن المذهب الواقعي أو عدّلوه . وجاء على آثارهم كُتّاب لا يزالون يثرون أدبنا الحديث — ولا سيما الرواية — بانتاج غزير طيب ، لا يعارض الوجدانيات بالحقائق ، بل يجمع بينهما جمعاً رشيداً يتفق وتراثنا الأدبي العريق ●

د . شكري محمد عياد — جامعة الرياض

أخبار الزيت المصورة في أرامكو

تمشياً مع برنامج التوسعة والتحسين الذي تضطلع به أرامكو في تطوير مرافق صناعة الزيت ومنشآتها في المملكة العربية السعودية بين الحين والآخر، تحرص الشركة دائماً على اجتلاب أحدث المعدات والأجهزة واضافتها إلى مرافق المعالجة والتصنيع في مناطق عملها الرئيسي

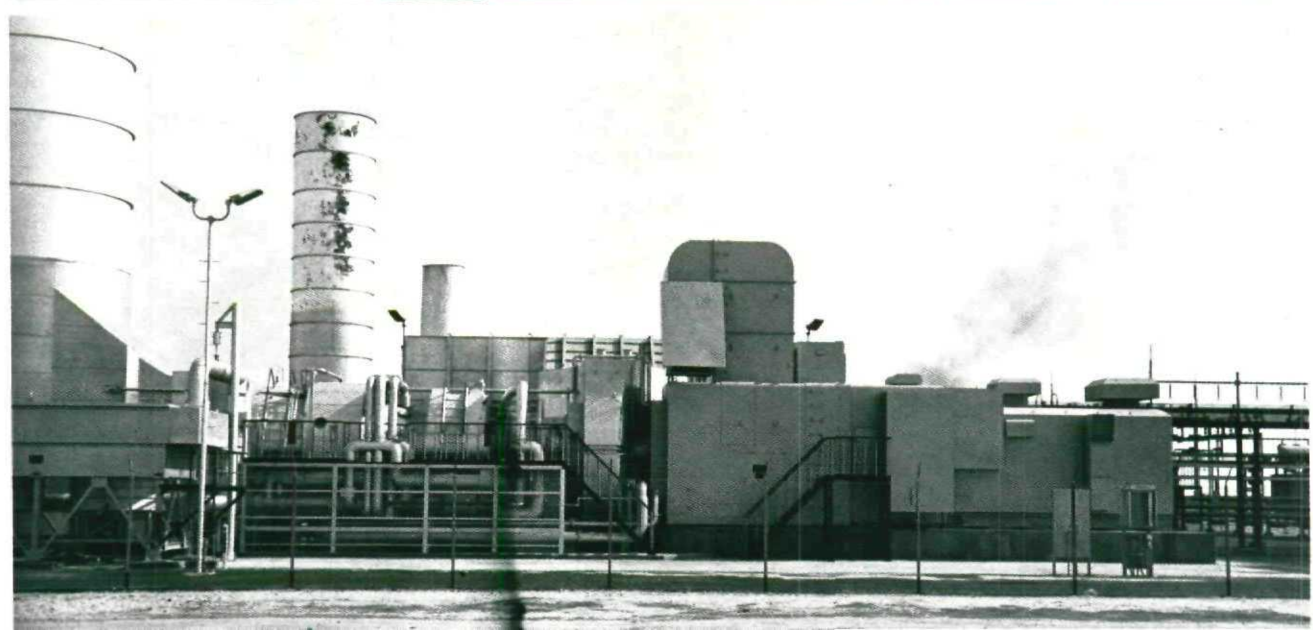


معمل جديد لزيادة انتاج البنزين

يجري العمل حاليا في انشاء معمل جديد لتهذيب البنزين في معمل التكرير برأس تنورة يعرف بـ «المهذب الرنيومي أو وحدة تهذيب النفتا . وسينتج المهذب الجديد عند اكتماله كميات من البنزين ذى الاوكتان العالي تزيد على أكثر من ضعفي ما ينتجه معمل التهذيب الهيدروجيني السائل الموجود حاليا في رأس تنورة والذي تبلغ طاقته ٩٥٠٠ برميل يوميا .

مــرافق جَديـدة لتَـوليـد الطَـاقـة

جرى مؤخراً تركيب مولدات كهربائية ضخمة في حقل البري بمنطقة الجبيل وذلك لتوفير الطاقة اللازمة لتشغيل معمل الغاز الطبيعي السائل الذي أنشيء حديثاً في الحقل المذكور ، والمجمع الصناعي الذي يجري انشاؤه حالياً في منطقة الجبيل . . وقد صممت هذه المولدات بحيث تكون قادرة على توليد ٧٦٠ ميغاواط في مطلع عام ١٩٨٠ . ولتوليد هذه الطاقة الضخمة ، ستستعمل عشرة مولدات توربينية تعمل بالغاز تبلغ طاقة كل منها ٧٦ ميغاواط ، وهي تعتبر من أكبر المولدات من نوعها في العالم . وبفضل هذه المولدات الجديدة ، سترتفع الطاقة الكهربائية في المنطقة الشمالية .



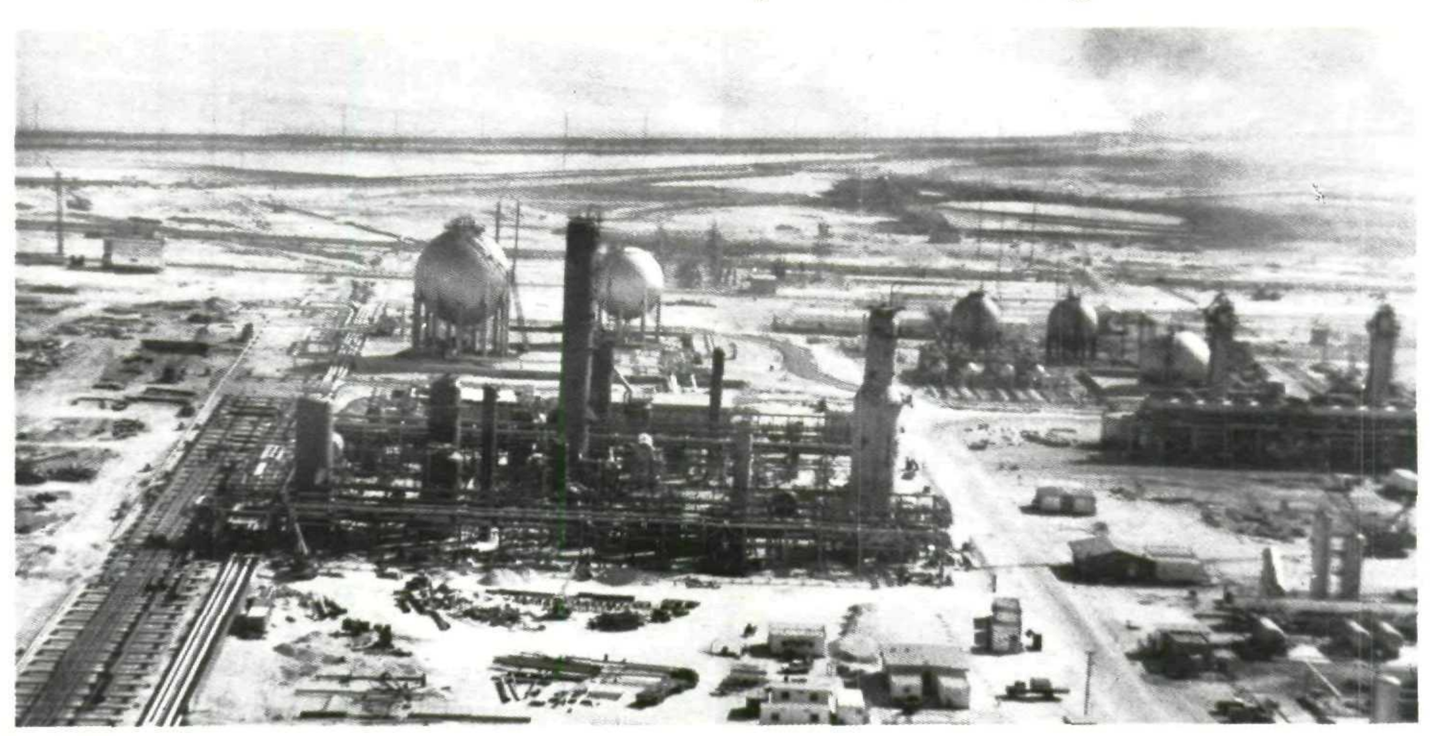
فرضتان جديدتان

أنشأت أرامكو فرضتين جديدتين في المياه الضحلة في الجعيمة بالشمال ، وفي رأس القرية ، شرقي بقيق بالجنوب ، وذلك لتنظيم عملية تفريغ المواد اللازمة لمشاريع أرامكو الخاصة بتجميع الغاز والتي تقدر بحوالي ٥٠٠٠٠ طن شهرياً .

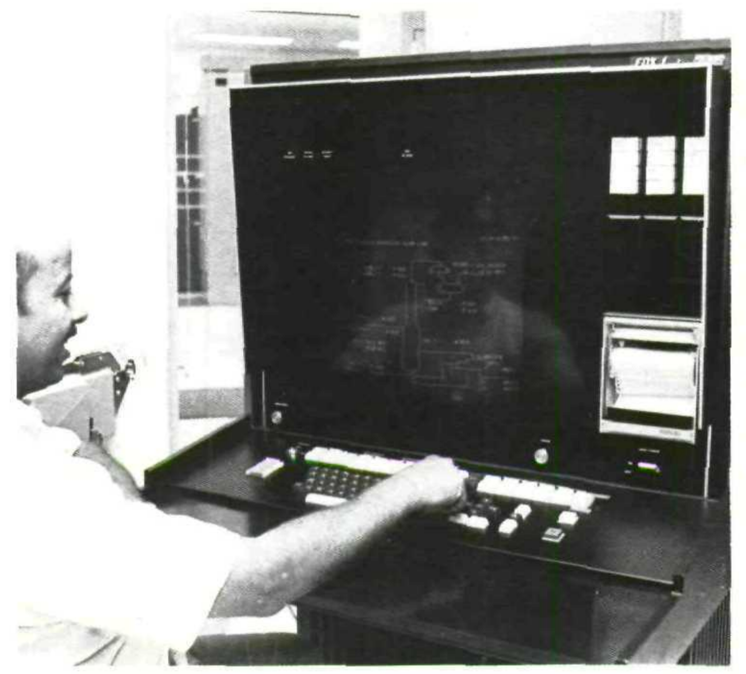
هذا وقد ترتب على انشاء هاتين الفرضتين اقامة مرسى طوله حوالي ٣٠٠ متر في الجعيمة لتفريغ المراكب التي تحمل البضائع من سفن النقل الكبيرة ، وآخر طوله ٣٦ متراً لتفريغ المعدات الثقيلة دونما تأخير .

وحدة جديدة لمعالجة غاز البترول السائل

يجري العمل حالياً في انشاء وحدة جديدة لمعالجة غاز البترول السائل في معمل التكرير برأس تنورة . وستقوم هذه الوحدة ، عند اكتمالها بمعالجة الغازات الطبيعية السائلة التي سبق تصنيعها في مرافق الغاز الجديدة في منطقة البري والجبيل ، كما ستقوم ، مبدئياً ، بمعالجة الغاز المستخرج من المنطقة الجنوبية الى أن ينتهي العمل من بناء مرافق الغاز الطبيعي السائل في منطقة البري والجبيل وذلك في أواخر العام القادم . وتبلغ طاقة هذا المعمل الجديد ١٣٠ ٠٠٠ برميل يومياً .



جهاز الكتروني جديد لمراقبة المعامل



بدأت أرامكو في الآونة الأخيرة في استخدام جهاز الكتروني جديد يطلق عليه اسم « فوكس — ١ » ، في مراقبة انتاج معمل الغاز الطبيعي السائل رقم — ٤٦٢ في بقيق . . وهو أول جهاز من نوعه يتم تركيبه في أرامكو ، إذ يستطيع القيام بفحص عمليات حيوية ومهمة في العمل خلال ثوان ، مثل الحرارة والضغط ونسبة السيلان ، ومقارنة الأرقام بالقيمة الاسمية ، وكذلك اشعار المشرف عليه ، بالتغييرات التي قد تطرأ على مراحل العمل ، ولقد تم تركيب هذا الجهاز الالكتروني الذي لا يوجد من نوعه سوى ٣٥ جهازاً في جميع أنحاء العالم ، بعد دراسة دامت ٣ سنوات ، ومن الأعمال الأخرى التي تؤديها هذه الآلة الألكترونية ، تبسيط القراءات التي تردها من ٢٥٠ اداة مثل موازين الحرارة وقياس السوائل والغازات . وبالاضافة الى ذلك فهي تشرف على مراقبة ١٨٠ جزءاً من الأجزاء العاملة لتبلغ المراقب في العمل عن المفاتيح العاملة وغير العاملة .

أكبر ناقلة زيت في العالم تؤم فرضة الجعيمة

قدمت الى الجعيمة مؤخراً الناقلة « باتلوس » ، وهي أضخم ناقلة زيت في العالم حتى الآن ، وذلك في أولى رحلاتها بين فرنسا والخليج . وتبلغ حمولة هذه الناقلة التي بلغت تكاليف بنائها حوالي ١١٠ ملايين دولار ، تبلغ حمولتها ٥٤٠٠٠٠ طن . وقد حُملت بأكثر من ١,٥ مليون برميل من الزيت السعودي . . وتضم الناقلة «باتلوس » التي يبلغ طولها ١٣٠٠ قدم ، وعرضها عند السطح ٢٠٦ أقدام ، وغاطسها وهي محملة ٩٣ قدماً ، ٤٠ خزاناً .



ديوان شاعر

للشاعر: محمد علي السنوسي

«إلى تلك الروح المرفرفة في عالم الحقيقة وإلى ذلك
(الملاح التائه) أقدم هذه الباقة تحية اكبار واعجاب»

عبق يفعم النفوس شذاه   ويثير الهوى عبير صباه
شاع فيه الجمال واتسق الفن   وفاحت بعطره دفتاه
واستفاضت به ينابيع فكر   عبقري الخيال ضاح سناه
ينظم اللفظ جوهراً ويصوغ   الشعر شهداً تهفو عليه الشفاه

* * *

جال فيه النهى يتوه ويصحو   في سطور لها وميض ولمح
حملت قلب شاعر عطر الدنيا   شذاه وهزها منه صدح
كللتها الرموز من كل معنى   فيه من عالم الحقيقة نفح
تاه في لجها فهل أدرك (الملاح)   في تيهه من الحق صبح

* * *

لحظة شاعر الجمال أناجيك   بألحانك الرقاق العذاب
ورويداً أجلو عليك صبابات   غرامي وذكريات شبابي
قف أبث الهوى عواطفك الحرّى   وأجلو عليك كأس شرابي
أنت علمتني منادمة الروض   وأغريت بي هزار الروابي

* * *

قلم في يديك جلّى على الرسم   وازرى بريشة الفنان
صور النفس في مشاعرها العلياء   واستنطق الهوى والأماني
وجلاها عواطفاً واحاسيساً   وسالت على شباه المعاني
تجد الروح في قصيدك نجواها   فتشدو بمطربات المثاني

* * *

قلم في يديك أم وتر يشدو   على مسرح الحياة طروبا
وقريض تصوغ أم درر غراء   تستأسر النهى والقلوبا
هو أنشودة الشباب وألحان   الأماني غناؤه والنحيبا
يتطبى الفتى ويلهو به الشيخ   ويصبي الخريدة (الرعبوبا)

* * *

أدب يخلب النفوس فما تنفك   في قبضة التعجب أسرى
وخيال يكاد ينفذ في الأعماق   من مخبأ السريرة سترا
لست أدرى وقد تعالى به القوم   هتافاً ورددوا لك شكرا
أرحيق سكبت أم سحر القوم   فهم يحسبون شعرك درا

* * *

ايه يا شاعر الخيال وغريد   المعاني وطيرها الصداحا
يا نديم النجوم والليل والبدر   سلاماً معطراً فواحا
لو ترى كيف أصبح الأفق الساجي   كئيبا وكان يندى سماحا
طويت بهجة السماء وغارت   أنجم كنت بدرها اللماحا

* * *

ذقت طعم الحياة في شعرك الحلو   وابصرتها تفيض ضياء
وهفت بي إلى رحيقك نفس   أوشكت تلفظ الحياة ذماء
وجدت في قريضك الأمل الزاهي   وفي نفسك الضحوك الرجاء
فمشت تنثر الزهور على الأرض   ورفت على السماء غناء

الثقافة العربية والتطور الحضاري

بقلم: الدكتور محمد مصطفى هدارة



تتردد كثيراً على مسامعنا كلمة الثقافة ، ويُسَرُّ أي منا اذا وُصف بأنه مثقف ، ولكننا اذا سألنا عن مدلول محدد لمعنى الثقافة ، لم نظفر بمفهوم يتفق عليه الناس جميعاً . والمفهوم الشائع بيننا أن الثقافة أخذ من كل علم بطرف ، وكأنها مرادفة للمعنى القديم للأدب ، ولمفهوم قول السابقين : فلان أديب ، أي أنه يأخذ من كل فن بطرف ، وقد فسر الشاعر القديم معنى الأدب فقال :

ان شئت تعرف في الآداب منزلتي
وأنني قد عداني العز والنعم
فالطرف والسيف والأوهاق تشهد لي
والعود والنرد والشطرنج والقلم

والثقافة أصلها في لُغتنا العربية ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة بمعنى حذقه ، فاذا قلنا ثقف الرجل ثقافة كان معناه صار حاذقاً ، والحذق ثبوت المعرفة بما يحتاج اليه المرء ، ويعني كذلك سرعة التعلم . وقد تطور مدلول الكلمة واتسع لمعان كثيرة فأصبحت الثقافة معنى مركباً يتضمن المعارف والعقائد والأخلاق والقوانين والعادات ، وأي قدرات أو خصال يكتسبها الانسان نتيجة وجوده في المجتمع .

والثقافة ليست دوافع فطرية وانما هي سلوك مكتسب ، ولهذا يوصف الانسان وحده بالثقافة ولا يوصف الحيوان أو الحشرات لأنها مزودة بغرائز فطرية . ويعرف أحد الباحثين الثقافة بأنها تنظيم لأنماط السلوك والأدوات والأفكار والمشاعر ، ونفهم من ذلك أن الثقافة لا تتعلق بالنشاط العقلي وحده ، بل تعني المهارات اليدوية أيضاً ، بيد أن الباحثين حين يشيرون الى العناصر المادية للثقافة فهم يعنون العناصر المادية التي هي نتاج للسلوك الانساني ، فالثقافة أساساً أمر غير مادي ، بل هي سلوك وأسلوب حياة . فاذا قلنا ان صناعة السيارة أو الطائرة أو الكرسي ثقافة فانما نعني أنها نتاج أسلوب حياة بلغ أصحابه درجة من الثقافة تتيح لهم أن يصنعوا هذه الأشياء .

وقد بدأت الثقافة مع بداية الانسان للتفاهم مع المجتمع عن طريق استخدام الرمز ، والرمز — كما نعلم — أصل كل اللغات ، وبهذه الطريقة الرمزية كانت تنتقل الثقافة بسهولة من انسان الى آخر ومن جيل الى جيل . فلما عرف الانسان اللغة يعبر بها عن فكره ، زادت حركة انتقال الثقافة عبر الأجيال والجماعات ، وأخذت تكتسب عناصر جديدة في الوقت الذي كانت تفقد فيه عناصر أخرى ، أو يطرأ التغير على بعض مكوناتها ، ولهذا توصف الثقافة دائماً بأنها عملية مستمرة تراكمية متطورة . ومن هذا التحديد لمفهوم الثقافة يتضح لنا أنها ليست أمراً خاصاً بطبقة معينة من الناس هم من نسميهم خطأ في مجتمعاتنا ، المثقفين ، كما أنها لا تعني تلك المظاهر من السلوك الانساني التي تشير الى التهذيب والذوق والاهتمام بألوان مختلفة ـن الفنون ، بل هي في الحقيقة أسلوب الحياة لمجتمع ما بكل طبقاته ، وبغض النظر عن مستوى تحضر هذا المجتمع

ونصيبه من التعليم والتهذيب . وكلما ازداد نصيب المجتمع من التحضر وارتقى أسلوب حياته وسلوك الناس فيه زاد حظه من الثقافة وارتقى المستوى الثقافي لأفراده ، وانعكس ذلك الرقي لا على النشاط العقلي وحده ، بل على الظواهر المادية أيضاً بوصفها نتاجاً للسلوك الانساني . فالمهارات اليدوية في الصناعات والفنون والحرف المختلفة تعبر دائما بانتشارها أو انحسارها عن المستوى الثقافي السائد في مجتمع ما .

لا شك أن الوسيلة الرئيسية للثقافة هي اللغة التي يتعلمها الانسان منذ طفولته ويحصل عن طريقها على كثير من عناصر ثقافته ، وبواسطتها يتبادل الثقافة مع أفراد مجتمعه ومع المجتمعات الأخرى . وتتأثر اللغة نفسها بالثقافة السائدة في كل أمة من الأمم ، كما أن الثقافة تتواءم مع البيئة . ففي اللغة الانجليزية مثلا تكثر المفردات والتعابير المتعلقة بالبحر ، كما تكثر في لغتنا العربية المفردات والتعابير المتعلقة بالصحراء . وتنعكس في الشعر ثقافة البيئة والعصر فنرى في صوره الفنية عناصر هذه الثقافة . ففي معلقة امرىء القيس مثلاً أوصاف هي نتاج ثقافة العصر الجاهلي . فهو مثلاً يشبه أصابع محبوبته في لينها ونعومتها بنوع من الديدان أو المساويك ، كما يشبه خصرها في رقته بالخطام ، وساقها الممتلئة بأنبوب النخل المسقي في قوله :

وكشح لطيف كالجديل مخصر
وساق كأنبوب السقي المذلل

كذلك نراه يشبه شعرها في غزارته بقنو النخلة .

بل ان بداية القصائد الجاهلية ببكاء الأطلال هو جزء من الثقافة السائدة في ذلك العصر ، ولهذا كان الصراع بين القدماء والمحدثين في بداية العصر العباسي صراعاً ثقافياً لا شك فيه . فالمحافظون يحبون استمرار التراث الثقافي على ما هو عليه دون تغيير ، والمجددون الذين اختلفت بيئتهم وحضارتهم يريدون اثبات الصفة التلاؤمية للثقافة عن طريق احداث تغير ما في شكل القصيدة ولو اقتصر هذا التغير على مطالع القصائد . ويعبر الحسن بن هانيء عن هذا التطور الثقافي فيقول :

مالي بدار خلت من أهلها شغل
ولا شجاني لها شخص ولا طلل
لا الحزن مني برأي العين أعرفه
وليس يعرفني سهل ولا جبل
لا أنعت الروض الا ما رأيت به
قصراً منيفاً عليه النخل مشتمل

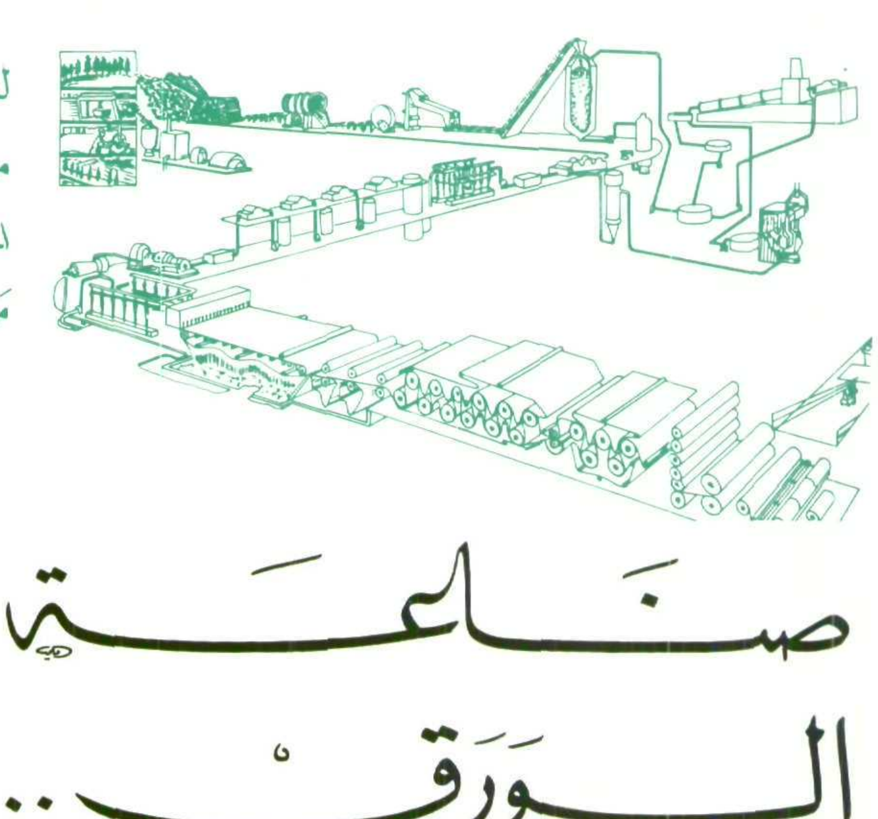
ولا شك أن التطور الثقافي أمر على جانب كبير من الأهمية ، وهو ضرورة محتومة يحسها كل مجتمع للوفاء بحاجاته ، وليس هناك مجتمع منعزل ثقافياً ، لأن عملية التبادل الثقافي بين المجتمعات الانسانية مستمرة من قديم ، وقد زاد نطاق هذا التبادل الآن بتقدم الوسائل المعينة عليه وانتشارها كالصحافة والاذاعة المسموعة والمرئية ، والتطور الهائل في وسائل الطباعة وتسجيل الأصوات والصور ووسائل الانتقال من مكان الى مكان .

وقد يكون هناك نمط ثقافي عام يسود المجتمعات الانسانية في عصر من العصور مع اختلاف بيئاتها وحضاراتها ، ولكن هذا لا يمنع وجود ثقافة قومية تميز أمة من الأمم . وقد حاول الباحثون تحديد العناصر التي تتألف منها الثقافة وترتيبها بحسب أهميتها ، ولكن خلافاً كبيراً يقع بينهم بصدد التحديد والترتيب على السواء .

ولما كانت الأمة العربية الاسلامية جزءاً رئيسياً في عالم اليوم الذي تهب عليه تيارات التغير والتطور من كل مكان وجب علينا أن نحدد عناصر ثقافتنا العربية الاسلامية وتتفق على سماتها وطبيعتها . ان ثقافتنا تلقى الآن تحدياً قوياً من جانب الثقافات الغربية المختلفة ، ونحن نعلم أن ما يسميه الغرب الثقافة الانسانية يعني أحياناً محاولة التحكم في أفكار الناس عن طريق سيادة ثقافته التي تقوم في معظمها على أساس مادي ، ومن المستحيل – في رأيي – ابراز الجوهر الانساني عن طريق الماهية المادية ، ولهذا ينبغي لنا أن نجعل الدين الركيزة الأولى في ثقافتنا ، فقد هيأ الاسلام لنا ثقافة انسانية أصيلة تقوم على تربية العقل والروح ، وتتيح لنا الأخذ والعطاء ، وتبرأ من عقد التقليد الأعمى الذي يدل على اهتزاز الشخصية وضعفها . وقد استوعبت ثقافتنا العربية الاسلامية منذ عصر الفتوح ثقافات أجنبية عديدة كثقافة الفرس والروم والهند ، ولكنها كانت واعية بما تأخذ وبما تدع ، واستطاعت أن تهضم هذه الثقافات وتكوّن منها ثقافة اسلامية أصيلة . ولما كانت اللغة هي الوسيلة الأولى للثقافة ، وجب أن تكون لغتنا العربية الفصحى عنصراً أساسياً نحافظ عليه في تكوين ثقافتنا ، ونهيىء له كل أسباب السيادة والقوة ، وننفي عنه عوامل الضعف والانحلال ، ونحميه من الحاح اللهجات العامية التي تفصلنا عن مقومات ديننا وتراثنا الثقافي . كذلك ينبغي لنا أن نحافظ في ثقافتنا على عنصر رئيسي فيها وهي العادات والتقاليد النبيلة التي رسخها الاسلام في وجداننا عن طريق ما تخيره من الشمائل العربية السامية ، وما أضافه من خصال اسلامية جديدة . وتمر الآن العادات والتقاليد بمرحلة حرجة متغيرة بسبب ضغط المؤثرات الثقافية الأجنبية ، ويحسنُ ألا نخضع لهذه المؤثرات بالقدر الذي يتيح لنا اكتساب عادات وتقاليد سامية جديدة والاستغناء عن عادات مرذولة أتتنا من عصور التخلف والضعف . تلك هي العناصر الرئيسية التي ينبغي لنا أن نثبتها ونهيء لها أسباب القوة لتبقى لنا ثقافتنا العربية الاسلامية واضحة المعالم قوية الشخصية في مواجهة التطور الحضاري الذي يميل بقوة ناحية المادية والبعد عن الجوهر الانساني ●

د . محمد مصطفى هدارة – جامعة الرياض

لقد قيل إنّ استهلاك الأمم من الورق يعتب
مقياساً أساسياً لحضارتها. ومادامت هذ
الحقيقة قائمة فعلينا أن نتعرّف إلى كل
مايتعلق بهذه الصّناعة الحيويّة.



صناعة الورق..

بقلم: الأستاذ جميل محمد ريان

نشأتها وتطوّرها

لمحة تاريخية

عرف الصينيون صناعة الورق منذ قرون بعيدة وذلك عندما اكتشف «تساي لن — Tsai Lun» انه بالامكان صناعة الورق باستعمال الياف بعض النباتات . وبالفعل تحقق للصينيين ما كانوا يتطلعون اليه نحو هذه الصناعة الحيوية ، فكانــوا بذلك أول من استخدموها واحتكروا سرها ردحاً طويلاً من الزمن . ثم انتقل ذلك السر فيما بعد إلى العرب في آسيا الصغرى . لكن العرب لم يكتفوا بالقدر الذي أخذوه عن الصينيين بشأن هذه الصناعة بل عملوا على تحسين وتطوير مراحلها . هذا بالاضافة إلى أنهم نقلوا مهارة صناعة الورق إلى بغداد ودمشق ومنها للمغرب فأجزاء مختلفة من أوربا كاسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا .

ولعل خير مصداق لهذه الحقيقة ما قاله العالم الايطالي «لويجي رينالدي» : ان العرب هم أول من أدخل صناعة الورق إلى اوربا حيث أنشأوا لذلك مصانع عظيمة في الأندلس وصقلية ، ومنذ ذلك الحين انتشرت تلك الصناعة في ايطاليا ومنها انتقلت إلى كل من فرنسا والمانيا .

الصناعة البدائية

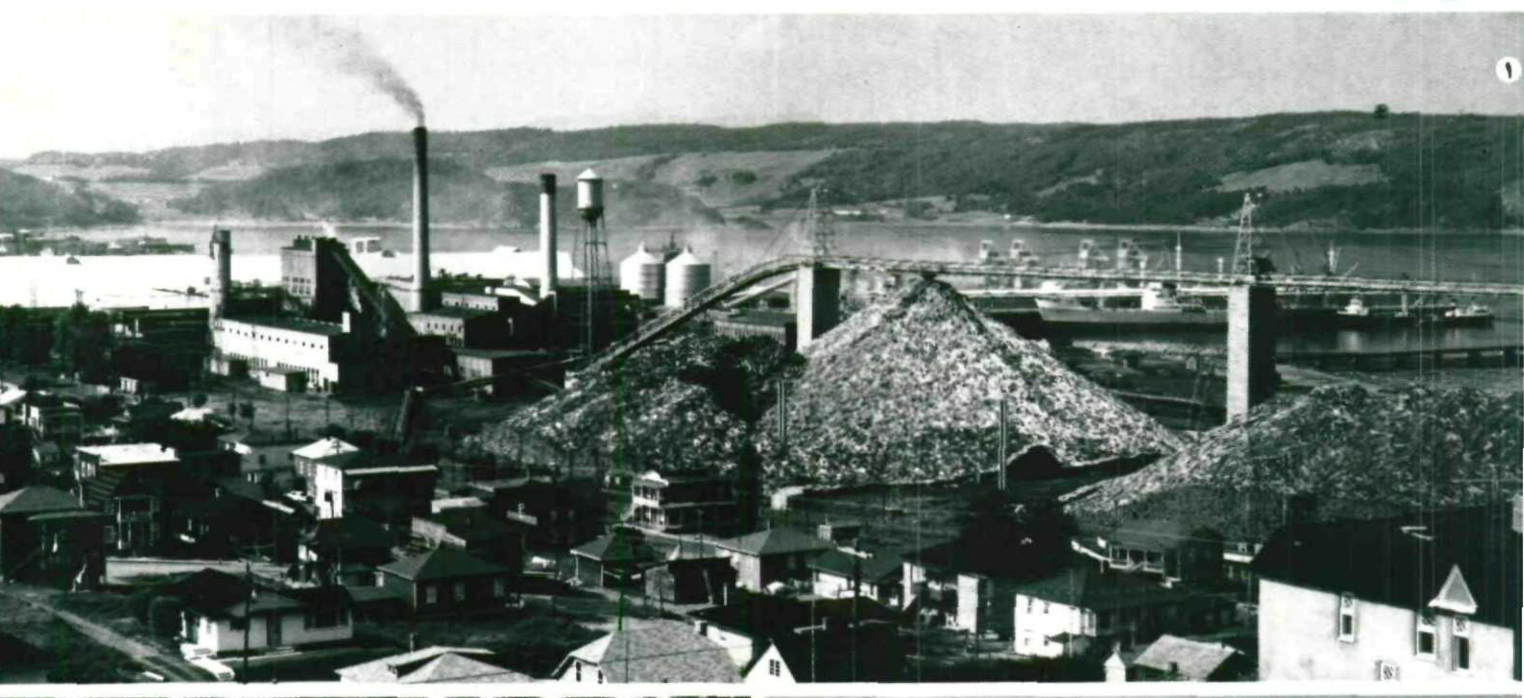
كانت مراحل صناعة الورق قديماً تنجز بالأيدي ، عن طريق هرس الألياف النباتية وتحويلها إلى عجينة لينة سرعان ما تصب في قوالب مسطحة ذات قواعد قماشية . وكانت تلك القوالب ومحتوياتها من العجينة تعرض لأشعة الشمس لتجفيفها تمهيداً لنزع طبقة الورق الجافة من قوالبها لتصار بالتالي إلى صفائح ورقية .

ليس من شك في أن ما بلغته صناعة الورق من التقدم والتطور عبر العصور والأجيال معزو إلى التقدم العلمي والحضاري . ففي هذه الأيام نرى الورق بأشكاله وانماطه متداولاً في جميع مرافق الحياة ، حيث أصبح مظهراً أساسياً من مظاهر الحياة العلمية والعملية في حياتنا اليومية .

الصناعة الحديثة

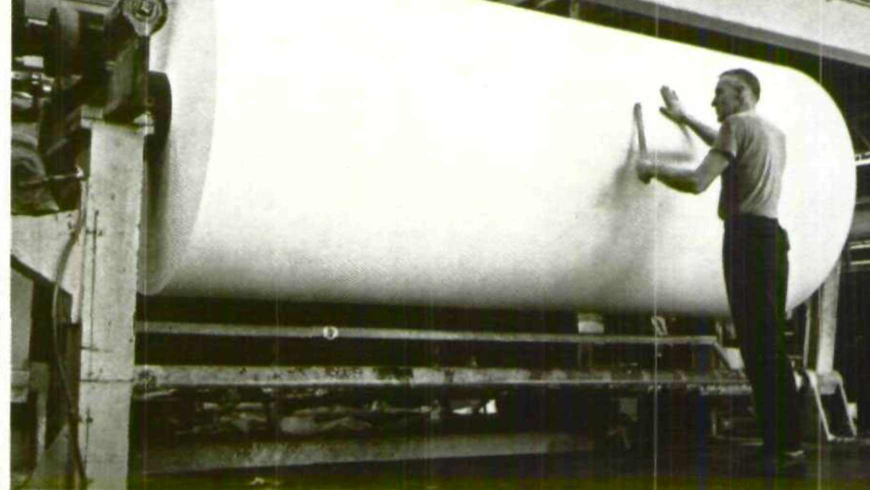
ان المصدر الأول للألياف التي يتكون منها الورق بجميع أنواعه هو المملكة النباتية . فهناك لب الخشب الذي يعد المادة الأساسية الأولى التي تدخل في صناعة الورق . وهناك أيضاً ألياف القنّب والكتان وسيقان الشعير والقمح واوراق الحلفا وغيرها . والحقيقة التي لا يغشاها الشك هي ان دخول الخشب ولبّه في

١ — معمل آخر للورق حيث يجري تجميع لب الخشب واعداده للتصنيع . ٢ — أحد مصانع الورق في كندا حيث تجلب اليه أغصان الأشجار لهرسها ومعالجتها وتحويلها إلى لفائف من الورق الجيد . ٣ — غرفة هرس الخشب او الأوراق المستعملة حيث تبدأ المرحلة الأولى في اعادة تصنيع الأوراق المستعملة لانتاج نوع من ورق الطباعة .

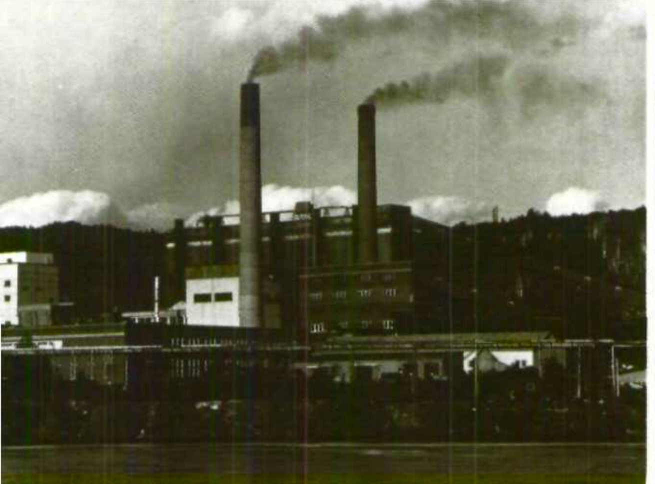








اخصائي يقوم بعملية فحص اخيرة لهذه اللفة من الورق التي يبلغ وزنها حوالي ثمانية أطنان .



مصنع للورق بكندا ويقع على حافة النهر الذي يستخدم كوسيلة طبيعية
الأخشاب إلى المصنع .

هذه الصناعة كان نصراً عظيماً للكيمياء وللعاملين في حقلها الواسع . هذا وقد ظلت صناعة الورق تسير سيراً وئيداً حتى فجر القرن التاسع عشر وذلك عندما شقت الآلة طريقها اليها لأول مرة . كما بديء في الفترة نفسها باستخدام المواد الكيميائية لتطرية الألياف وفصلها عن أجزاء النبات الأخرى ، واستخدام المكابس الاسطوانية التي تساعد على انتزاع الماء من الألياف والتحامها بعضها ببعض بالاضافة إلى اسطوانات التجفيف البخارية الخاصة بصقل الورق .

وليس من شك في أن ادخال الطرق الكيميائية والآلات المتطورة إلى صناعة الورق قد أدى إلى تحسين نوعية الورق وتطوير مشتقاته وزيادة انتاجه ، حتى أصبح الورق متوفراً بكميات كبيرة يفي بمختلف الأغراض الحياتية والعملية .

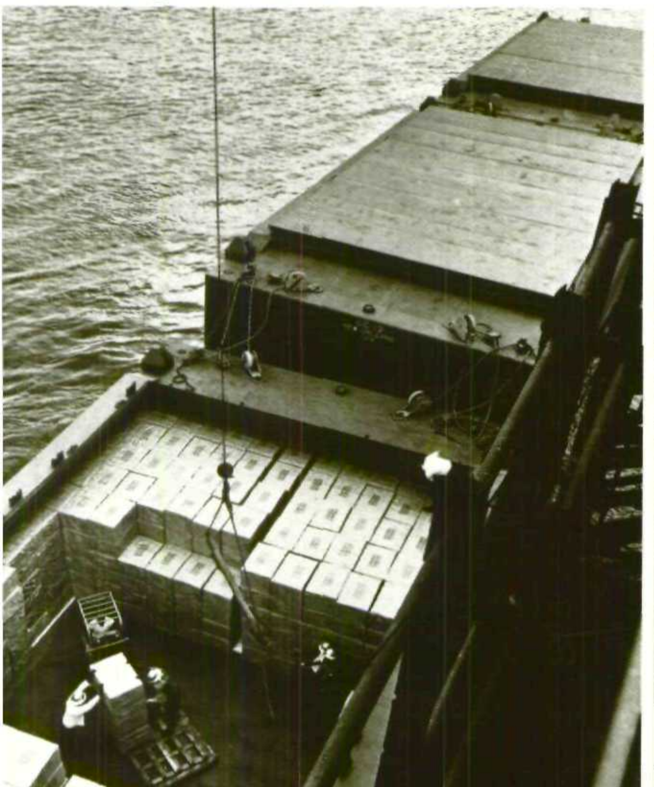
ان الالياف النباتية التي يصنع منها الورق على اختلاف أنواعه ، تتكون من مادة شديدة المقاومة تعرف بالسليولوز $(C_6H_{10}O_5)n$ ،ومن أهم المواد الأولية التي تؤخذ منها هذه الألياف السليولوزية الصالحة لصناعة الورق: لب الخشب، وقش القمح والشعير والأرز بعد ازالة السليكا منه الذي يستخدم عادة لانتاج الورق الخشن ، ونبات القنب — Hemp الذي تستخدم اليافه في انتاج الورق الرديء الجودة القليل البياض ، بالاضافة إلى المنسوجات القطنية والكتانية البالية .

ان معظم أنواع الورق المتداولة في الأسواق التجارية في الوقت الحاضر مصنوع من لب الخشب الذي يمكن استخلاصه من الأشجار بطريقة ميكانيكية وأخرى كيميائية . ففي الطريقة الأولى يؤخذ جزء من ساق الشجرة بعد نزع لحائه حيث يجرى هرسه بواسطة

لفات من الورق الجاهز تحمل على صنادل خاصة يجري قطرها عبر نهر المسيسبي ومن ثم تشحن إلى الموانيء الأوربية .



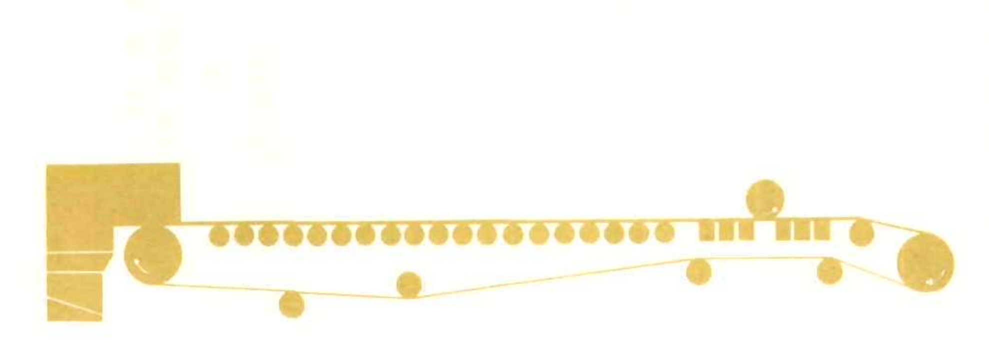
أحد الصنادل المستخدمة في نقل الورق المصنع عبر المسيسبي



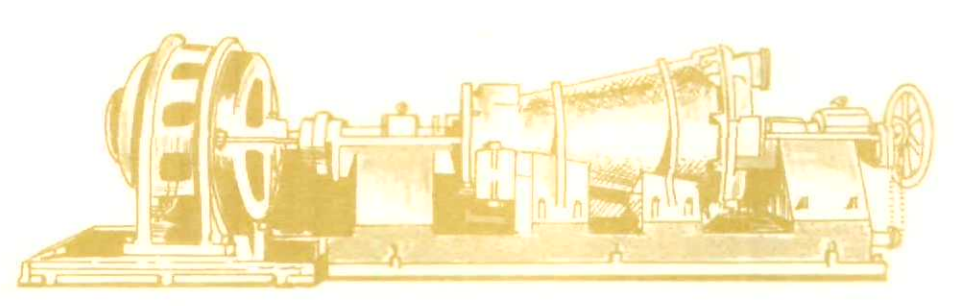
مكابس اسطوانية لتحويله إلى أجزاء صغيرة جداً ، بعضها ليفي وبعضها غير ليفي ، و يعرف مجموعها بـ « اللب الميكانيكي — Mechanical Pulp » وتعرف الاجزاء غير الليفية من الخشب بـ « اللجنين — Lignin » ، وهي قابلة للبلى اذا ما تعرضت للهواء فترة قصيرة . ولهذا فان ، الورق المصنوع من اللب الميكانيكي لا يتحمل الاستعمال مدة طويلة كاللب الكيميائي ، ولذلك فان استعماله يظل مقصوراً على صناعة ورق الصحف والمجلات والأنواع الأخرى القليلة الجودة . ونظراً لأن ألياف هذا اللب قصيرة حيث يصعب جدلها وتشابكها — Interlacing ، فان نسبة من اللب الكيميائي تضاف اليه لتكسبه قوة احتمال أكبر لدى الاستعمال .

أما في الطريقة الكيميائية فان الخشب يعالج ببعض المواد الكيميائية ، بواسطة ثلاث طرق لاستخلاص العجينة اللازمة لصنع الورق . وهذه الطرق هي : طريقة الكبريتيت ، وطريقة الصودا ، وطريقة الكبريتات . غير أن أكبر كمية من عجينة الورق المستعملة في الوقت الحاضر تستخلص من الخشب بطريقة الطبخ الكيميائي . وتتم طريقة الطبخ هذه بواسطة الصودا الكاوية لاسيما بالنسبة للأخشاب القاسية المراد استخراج الورق منها . والجدير بالذكر أن أي نوع من أنواع الخشب يمكن طبخه كيماوياً بطريقة السلفات وذلك بعد إضافة خليط من الصودا الكاوية وسلفايد الصوديوم اليه . وعملية الطبخ هذه تتطلب استخدام نوع من الخشب ذي درجة عالية من النقاوة ولذلك فانه لا بد من ازالة القشرة الخارجية للب الخشب بدقة وعناية وذلك باستخدام اسطوانات مجوفه مزودة بقواطع حادة لازالة القشرة الخارجية عن الأخشاب وخاصة أثناء مرورها عبر الاسطوانات . أما عملية معالجة مادة السليولوز النباتية وتحويلها إلى ورق أبيض مصقول فتتم عبر ثلاث طرق رئيسية هي :

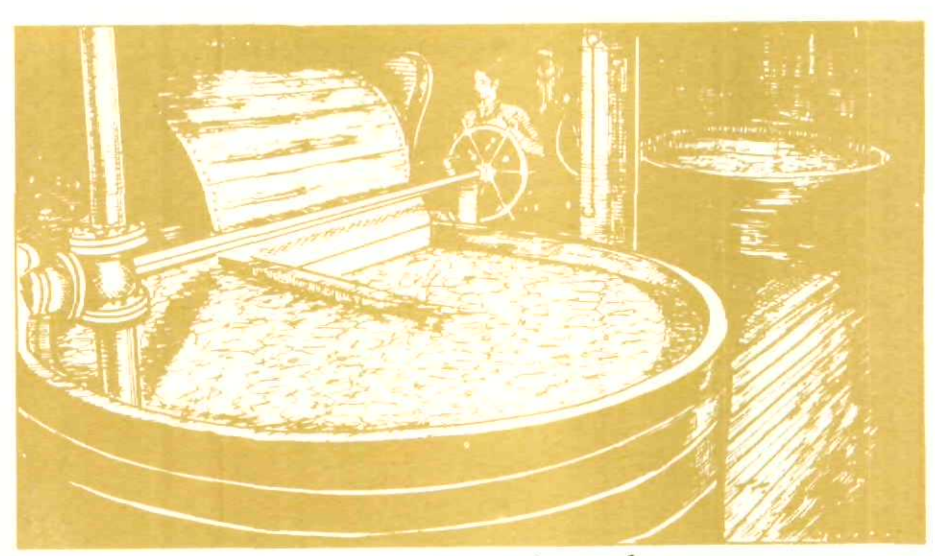
طريقة التبييض — Bleaching التي تتم باستخدام مادة كلور هيبو كلورايت الكالسيوم ، وطريقة الخفق — Beating حيث تخفق العجينة خفقاً جيداً ثم طريقة الحشو والتجهيز — Loading and Sizing . ولانتاج ورق الكتابة يضاف بعض المواد الغروية إلى عجينة الورق وذلك منعاً لتفشي الحبر عند الكتابة ، كما يضاف للعجينة بعد خفقها محلول الشبّه



مقطع يمثل أجزاء الآلة التي تمسك بلفائف الورق والمراحل التي تمر بها هذه اللفائف قبيل اعدادها .



يمر الخليط بعد طبخه وتبييضه في هذا الجهاز المزود بقاطعات حادة لتقطيعه قبل أن يدخل المرحلة الثانية من عملية التصنيع .



رسم يمثل وعاء خاصاً لمعالجة الأنسجة الخشبية بطريقة الطبخ ثم بالتبييض .

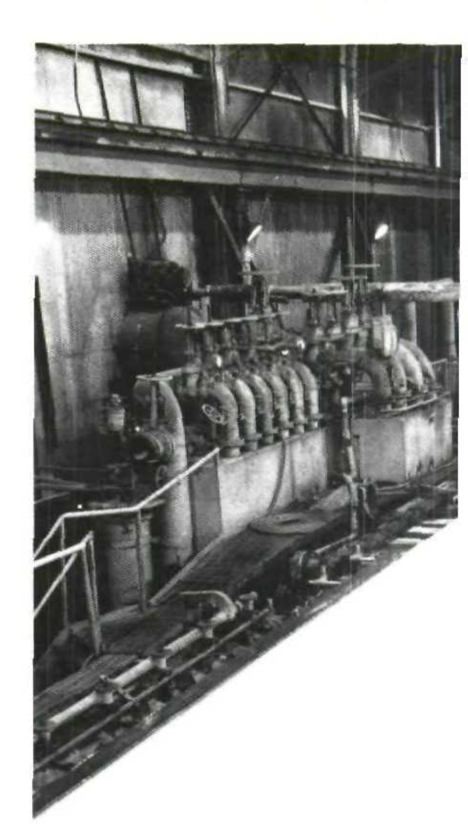
احد اجهزة التنقية الرئيسية حيث تتم الخطوة الأولى في صناعة الورق .

آلة حديثة تعمل بسرعة ٢٥٠٠ قدم في الدقيقة تستخدم في معالجة لفات الورق وطليها بطبقة من مادة الراتنج الصمغية .

آلة خاصة بانتاج لب الورق وتقطيعه حسب الأ-

صنادل محملة بصناديق ملآى بالورق المصنع يجري تحميلها على ظهر الباخرة التي تنقلها إلى اوربا .

كال المطلوبة .



وراتنجات الصوديوم . ومن بين المواد الكيماوية الأخرى التي تضاف إلى عجينة الورق لجعله رقيقاً وخفيفاً ، كبريتات الكالسيوم والباريوم وكلورور الباريوم وسليكات الألمنيوم غير . أن هذه المادة الأخيرة تضاف إلى العجينة الخاصة بصنع الورق الرديء النوعية .

عرفنا مما سبق أن عملية التبييض تكسب الورق الناتج ظلاً خفيفاً من اللون الأصفر ، إلا أنه يضاف اليها أحياناً « مسحوق الزهرة الزرقاء — Ultramarine - Blue » لتحسينها .

أنواع الورق الهامة

هناك أصناف عديدة من الورق تستخدم في استعمالات مختلفة ،ومن اهم تلك الأنواع : الورق الكاشط ، ويتميز بسماكته ومتانته وقوة احتماله ، وهو مبطن من جهة واحدة بطبقة من الغراء والأخرى بطبقة خشنة كاشطة ككربيد السيليكون او الزجاج . ومن أشهر اصنافه ما يسمى بورق الصنفرة — Sand Paper وورق الكاربورندم — Carborundum .

الورق الانجيلي

يصنع هذا النوع من قماش الكتان والألياف ، ويغلب استخدامه في أغراض الطباعة نظراً لخفة وزنه ورقة سماكته . كما يستخدم في كتابة الموسوعات العلمية والمجلدات الضخمة .

أوراق الكتب

ويستعمل هذا النوع أيضاً في أغراض الطباعة ما عدا الجرائد والصحف ، ومنه المبطن وغير المبطن .

أوراق البناء والألواح

ويشمل هذا الصنف أنواع الورق المستخدمة في أغراض التغليف ، والألواح العازلة .

الورق المقوى

ويتم انتاجه على شكل لفافات تستخدم في أغراض التعبئة .

ورق الكريب

ويمتاز بنعومته وسهولة تمدده .

ورق الجرائد

ويحتوي على ٨٠٪ من نشارة الخشب المقواة مضافاً اليها السلفايت .

ورق البرافين

ويمتاز بمقاومته لنفاذية الماء من بين مساماته وهو يستخدم لحفظ الطعام .

وبعد ، هذه نبذة سريعة عن صناعة الورق التي لا تقل شأناً عن الصناعات الرائدة الأخرى التي تشكل لبنة في صرح التقدم والتطور●

جميل محمد ريان — الظهران



الأستاذ أنور الجندي

في الثقافة الانسانية

اجراء : الأستاذ أبو طالب زيان

يؤمن الأستاذ أنور الجندي ، بأننا نستطيع أن نجمع الى جانب التقدم والسير في موكب الحضارة الانسانية ، جانب القيم والقوى الروحية والمعنوية التي كانت طابع شخصيتنا ، ويؤمن كذلك بأن هذه القيم والمثل ، لن تعوق ثقافتنا ، بل ستزيد تقدمنا أصالة ، وتضفي عليه قوة دافعة ، واصالة صادقة .

على أن من المؤسف ، ألا يتجه الأدباء العرب الى الناحية الانسانية ، في أدبهم ، ويعنوا بهذا الجانب الحيّ الذي أولاه « المعري » في ديوانه « سقط الزند » لفتة دفعت « ابن الرومي » الى النظر والتأمل ، والدعوة الى ما دعا اليه شيخ المعرة ، فغدا الأدب العربي على غناه وغنى البيئة العربية بالجانب الانساني من الحياة ، فقيراً في هذا الجانب الا من أبيات هنا وأبيات هناك ، دفع اليها عارض غير أصيل ، وسحابة سرعان ما تكشّف غيمها الرابض على حدّ من الحدود .

لذلك أكاد أجزم بأن انتاج أدب انساني ليس سهلاً ، الا أن يكون الأدباء الذين ينتجونه أتيح لهم أن يعيشوا مع النفس الانسانية بحواس تمكنهم من سبر غورها ، فضلاً عن العاطفة التي تتعدى الاحساس الذاتي الى الاحساس بالآخر . ويكون عندهم من السعة ، ما يخرجون به من قيود « الأنا » الى انطلاق « نحن » وان كانوا في اعتقادي قلة بالنسبة لأدباء كل عصر .

وقد لا أكون مجانباً الصواب ، اذ أنا اتجهت الى الأستاذ أنور الجندي الذي أخرج أكثر من ثلاثين مؤلفاً قبل موسوعته الكبرى التي لفتت الأنظار في العالم العربي ، والذي ما يزال يتفاعل مع حركة الأدب في شتى مجالاته وتطوره ، فيقدم كل يوم نتاجاً جديداً ، وأعلاماً جدداً في الأدب والتراث والترجمة والنقد ، مؤمناً بالطابع الانساني في أوسع معانيه .

قلت له :

● هل الثقافة هدف في حد ذاتها ، أم أنها وسيلة لتحقيق مستوى أفضل للانسانية ؟

فكان جوابه :

« لكي نعرف مفهوم الثقافة يجب أن نفرق بينه وبين مفهومين آخرين ، هما المعرفة والعلم . فالمعرفة تعني الخطوط العامة التي تلتقي عندها المفاهيم الانسانية ، وهي ملك مباح لكل الأمم والشعوب . فالحرية والعدل والأخوة والمساواة مفاهيم عامة يلتقي عندها الناس جميعاً ويؤمنون بها .

أما العلم فهو ذلك الجانب التجريبي المتصل بالمعامل والمختبرات ، والاكتشافات ، والمخترعات ، وهو أيضاً ، ملك للانسانية جميعاً ، وحق لكل الأمم والشعوب .

أما الثقافة فانها تحمل في الأغلب طابع الأمة نفسها ، وان اختلفت به عن طابع أمة أخرى إلا أن الوحدة الجامعة فيه هي القيم الأساسية المتصلة باللغة والدين والروابط الاجتماعية والأخلاقية .

على أن الثقافة تعم فنوناً مختلفة من بينها الأدب . ومن هنا فقد تميزت ثقافات الأمم بخواصها وعواملها ومفاهيمها . والحق أن الثقافة ليست هدفاً في حد ذاتها ، وانما هي وسيلة لرفع مستوى الأمم التي تعتنقها . والثقافات في مجموعها انسانية الطابع وان اختلفت في قيمها ، غير أنه من العسير أن تنصهر في بوتقة واحدة الا بعد تحولات كبيرة تستهدف تحقيق المعنى الانساني وتتجه الى تحقيق الوحدة الانسانية بين الأمم جميعاً . والواقع أننا نعيش الآن في عصر الثقافات ذات الطوابع المستقلة وان كانت تجمعها جميعاً . علاقات مختلفة . والعوامل التي تتمثلها الثقافات الحية يكون في مقدمتها الطابع الانساني ، طابع الحركـة ، طابع الانفتاح والالتقاء مـع الثقافات المختلفة .

وقد اقتبست الثقافات بعضها من بعض على مدى العصور كثيراً من القيم والمقومات وشكّلتها على النحو الذي يصلح لها ، حتى استطاعت الثقافة العربية الاسلامية في عصر ازدهارها أن تفتح أبوابها للثقافات اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، وأن تأخذ منها ما وجدته صالحاً لها ، دافعاً الى القوة والحيوية ، ثم صهرته في بوتقتها وتمثلته وصاغت منه اضافات حية .

وليس شك في أنه ما تزال الثقافات العالمية بالرغم من قيمها المختلفة تتقارب وتتلاقى في مفاهيم كثيرة ، وما تزال على المدى تزيل من طريقها عقبات كثيرة في سبيل تقارب الهدف الانساني الذي هو أساس الثقافات الحية .

— ولما كانت الثقافة بمفهومها العام ، تتجه اتجاها محدوداً ، في عرف بعض الأدباء بحيث سرى عند بعضهم ، أن الانطواء ربما يكون أنفع للدور الذي يلعبه الأدب ، أردت أن أخرج بالأستاذ الجندي عن هذا المفهوم وأعرف رأيه في السلبية والايجابية ، بمعنى الانطواء والانطلاق والاندفاع والتفاعل ، وهل يفيد ذلك الأدب أو يضره فسألته :

● يقال ان الوعي بالثقافة يخرجها من دورها السلبي الى دورها الايجابي بمعنى أن يخرج المثقف من عالم الانطواء الذاتي الى عالم أرحب ، هو الحياة بكل معانيها وكل اندفاعها وكل تفاعلها مع الانسان ، فهل توافقون على ذلك ؟

فقال :

الواقع أن « الثقافة الحية » لا بد أن تكون ثقافة واعية ايجابية دوماً ، متصلة بالحياة والانسان والكون . ولا تتخلف الثقافة الحية عن هذا المعنى الا في فترات الضعف والاضطرار ، وفي مراحل التخلف . أما في فترات الازدهار فهي قادرة دوماً على أن تستمد من قيمتها الأساسية العوامل الكفيلة بدفعها الى الحياة والقوة .

وقد كانت الثقافة العربية التي تستمد مقوماتها الأساسية من الفكر الاسلامي على هذه السنة ، فهي ثقافة ذات طابع انساني تقوم على الحرية والعدل والمساواة والأخوة والخلق .

غير أن الثقافة العربية قد تأثرت بعديد من النزعات والاتجاهات ، ولكنها كانت دائماً قادرة على الاحتفاظ بطابعها وشخصيتها الانسانية الايجابية البعيدة عن السلبية والانطواء .

وفي الحق أن مكاسب الأدباء من جرّاء المعارك الأدبية التي كانت تقوم هنا ، وتصطرع هناك في أرجاء الوطن العربي ، قد لعبت دوراً مهماً في تشكيل الثقافة العربية وان جنح بعضها الى الأغراض الشخصية .

كان الخلاف يشتد بين أنصار القديم وأنصار الجديد . وكانت تتفرع عن هذه الخلافات ، تفاريع أو اتجاهات تستأهل البحث ، وترتقب الكشف عن القضايا التي طرحها المتناقشون أو المتزعمون لوجهتي النظر .

والأدباء بعامة يذكرون تلك المناقشة التي احتدمت حرارتها بين أديبين كبيرين كان لهما شأن ورأي حول الثقافة للثقافة والثقافة للحياة ، مما نتج عنها أنصار ومعارضون ما يزالون يستمسكون برأيهم الى اليوم .

— قلت للأستاذ الجندي ، دون أن أذكر له الأسماء التي كانت تشتجر حول هذا الرأي :

● تقوم معارك قلمية بين حين وحين ، ويشتد الخلاف بين أنصار الثقافة للثقافة وأنصار الثقافة للحياة ، فأي الفريقين أولى بالتأييد وما رأيك ؟

فأجاب :

لا شك أن الثقافة للحياة هو المفهوم الأقرب الى النفس العربية والثقافة العربية ، فقد كانت القيم الأساسية للفكر العربي الاسلامي دائماً تحمل طابع الايمان بأن الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد . ولن تكون الثقافة للثقافة الا دوراناً حول الذات ، وانعزالاً عن المجتمع ، وبعداً عن الواقع ، وانصرافاً عن التلاقي والانصهار والتبادل الثقافي والاجتماعي ، وليست هذه من خواص الذات العربية المفتوحة على الثقافات والحضارات تأخذ منها وتعطي ، وتضيف الى الفكر الانساني وتنقل منه ، مع المحافظة على جذورها وشخصيتها .

على أن نظرة الثقافة للثقافة أو الفن للفن كانت نظرة مرحلية وموجة عارضة في الثقافة العربية والثقافات المختلفة ، ولم تكن تياراً عميقاً ، وقد انحسرت هذه الموجة وضعفت ولم تعد ذات أثر قوي أو ضعيف .

والواقع أن دعوة الثقافة للثقافة ، انما تظهر في فترات معينة ، وفي ظل حالات ضرورية تحت ضغوط معينة ، وظروف عالمية بذاتها ، وغالباً ما يكون ذلك في أعقاب الحروب الكبرى ، التي يفقد فيها الناس ايمانهم بالقيم الانسانية الأساسية ، وتحيط بهم حالات من الذعر والخوف والتطلع الى الانطلاق في الحياة لتحقيق أكبر قدر من الحاجات الخاصة مع الاغضاء عن التزامات الانسان في ارتباطه بالجماعة ، ومن هنا تبرز دائماً في هذه الفترات دعوات الذاتية ، والانطواء ، والفن للفن ، والأدب للأدب ، غير أن هذه انما تكون دائماً موجات عارضة وليست تيارات عميقة ، وهي لا تلبث أن تتلاشى شيئاً فشيئاً ، ويحل محلها الطابع الانساني المتصل بمفهوم الثقافة للحياة .

ولم يتأثر الأدب العربي كثيراً بضغط دعوة « الثقافة للثقافة » الا بحكم التأثر الضروري بالتيارات الثقافية العالمية للثقافة ، وان كان دائماً بحكم مفاهيمه السوية الوسيطة قادراً على أن يمضي في طريق « الثقافة للحياة » .

— وهنا كان لا بد لي من أن أسأل الأستاذ الجندي سؤالاً يجره الى الدفاع عن نفسه ، أو التسليم بواقع الأمر سيما وقد عرف عنه أنه من دعاة الأدب الانساني ، هذه الدعوة التي أحرجت كثيراً من الأدباء ، وأوقعت بعضهم في ما لا يحبون أن يقعوا فيه .

● قلت للأستاذ الجندي : هل ما تخرجه من كتب يدخل في باب الثقافة الانسانية ، وما مدى تأثيره على الأديب بشكل خاص والأدب بشكل عام ؟

فقال :

— حاولت في كل أعمالي أن أحقق النظرة الانسانية في الثقافة ، وأن آخذ جانب الثقافة للثقافة ، وأن أربط عملي الثقافي بالحياة . ولذلك فقد أوليت اهتمامي لمختلف قضايا الانسان والمجتمع في مجال الثقافة ، وفي دراساتي عن الأدب العربي المعاصر ، أفسحت للأدباء المؤمنين بمبدأ الثقافة للحياة قدراً كبيراً وعرضت نماذج عديدة لآرائهم وانتاجهم . وعندي أن حركة الأدب العربي المعاصر هي حركة ايجابية انسانية ، تريد أن تقوم بعملين كبيرين في وقت واحد : أولهما تجديد التراث والأصول والجذور وإحياؤها وبعثها وجعلها قاعدة صلبة للبناء الجديد . والثاني تقبل ما تحمله الثقافات الانسانية المختلفة ، وفتح الطريق اليه مع مراجعته ونقده ، والتماس خير ما فيه مما يتفق مع قيم الفكر العربي ، ولا يتعارض معها ، وما يعطي الشخصية العربية قوة وحياة وقدرة على النماء والحركة والفعالية وبذلك لم تفقد الثقافة العربية قيمها الأساسية ، بل تفتحت في الوقت نفسه على الثقافات المختلفة لالتماس ما عندها من مفاهيم واضافات تزيد النفس الانسانية قوة وحياة .

ولما كان الأدب العربي أحد جوانب الثقافة ، فان اتجاهه من اتجاهها ، وان كان الأدب قد أحرز الجانب الأكبر من الاهتمام لاتصاله بالنفس والعاطفة .

ويمكن القول بأن الثقافة العربية التي تختلف جوانبها الاجتماعية والقانونية والادبية والفنية كانت دوماً تتمثل في ثلاثة طوابع واضحة ، أولها طابع الانفتاح على الثقافات العالمية دون أن تفقد مقوماتها الأساسية . وثانيها الطابع الانساني الواضح في العدل والمساواة والحق والخلق . وثالثها طابع الايجابية والبعد عن الانطواء مع التفاعل الاجتماعي .

على أنه في رأيي لا يمكن أن أحدد نظرة الأستاذ الجندي الى الأدب الانساني ، أو أحكم اتجاهه اليه ، ما لم يكن هناك من يخرج به عن هذا الاطار المحدود في الدعوة اليه ، عندئذ يمكن أن نقيّم الأستاذ الجندي ، وان كان له السبق على أي حال ، في هذا الميدان الفسيح ●

ابو طالب زيان — القاهرة



القصور المندرسة في دمشق

فهرست المجلد الرابع والعشرين

١٣٩٦

مدينة اثرية ذات تاريخ عريق ، وهي تعد من أقدم مدن العالم . وقد جاء في معجم البلدان : دمشق طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف . سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل : أول من بناها بيوراسف ، قبل ولادة ابراهيم الخليل ، عليه السلام بخمس سنين ، وقيل : ان الذي بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وسماها أرم ذات العماد ، وقيل ان هودا عليه السلام نزل بدمشق واسس الحائط الذي في قبلي جامعها . ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان : ومن خصائص دمشق التي لم ار في بلد آخر مثلها كثرة الانهار بها وجريان الماء في قنواتها ، فقل ان تمر بحائط الا والماء يخرج منه ويسقي الوارد والصادر ، وما رأيت مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاها الا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان ويسح في ميضأة ، وهي في أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة ، وبها جبل قاسيون ليس في موضع من المواضع أكثر من العباد الذين فيه ، وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار للأنبياء والصالحين ، وبها فواكه طيبة تحمل إلى جميع ما حولها من البلاد من مصر إلى حرّان وما يقارب ذلك ، وقد وصفها الشعراء فأكثروا وفتحها المسلمون في رجب سنة ١٤هـ بعد حصار ومنازلة ، وكان قد نزل على كل باب من ابوابها أمير من المسلمين فداهمهم خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة ، فأسرع أهل البلد إلى أبي عبيده بن الجراح ، ويزيد ابن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وكان



الطرقات الضيقة في دمشق القديمة لا تكشف عما تخفيه من آثار خلف جدرانها ، فقد تكون واحدة من الحدائق الغناء .





تنتشر حول القصور القديمة في دمشق الصناعات التقليدية اليدوية كالنقش في النحاس والخشب .

كل واحد منهم على ربع من الجيش ، فسألوهم الأمان فأمنوهم وفتحوا لهم الباب ، فدخلوا من ثلاثة أبواب بالأمان ، ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم ، وكتبوا إلى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بالخبر وكيف جرى الفتح ، فأجراها كلها صلحا . وقال ابو محمد عبدالله بن أحمد بن الحسين ابن النقّار يمدح دمشق :

سقى الله مـــا تحوي دمشق وحياهـــا
فمـــا أطيب اللـــذات فيهـــا واهناهـــا
نزلنا بهـــا واستوقفتنـــا محاسن
يحـــن اليهـــا كل قلب ويهواهـــا

كما قال البحتري يمدح دمشق :

أمـــا دمشق فقـــد ابدت محاسنها
وقـــد وفـــى لك مطريهـــا بما وعـــدا
اذا اردت ملأت العـــين من بلـــد
مستحسن وزمـــان يشبه البلـــدا
يمسي السحـــاب على اجبالهـــا فرقا
ويصبح النبت فـــي صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفـــا خضـــلا
او يانعـــاً خضرا او طائـــرا غردا
كانمـــا القيظ ولّـــى بعد جيئـــته
او الـــربيع دنـــا من بعـــد ما بعدا

تلك هي دمشق البلد الاسلامي العريق في حضارته ، الحافل بآثاره الاسلامية والتي من أبرزها واروعها مسجد دمشق الذي بناه الوليد ابن عبد الملك بن مروان وكان ذا همة في عمارة المساجد ، وكان الابتداء بعمارته في سنة ٨٧ هـ وقيل سنة ٨٨ هـ ، وقد عمل له اربعة أبواب : في شرقيه باب جيرون ، وفي غربيه باب البريد ، وفي القبلة باب الزيادة وباب الناطفانيين مقابله ، وباب الفراديس في دبر القبلة . ويقال ان الوليد انفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين وحملت اليه الحسابات بما أنفق عليه على ثمانية عشر بعيراً .

مبنى قديم وبركة ماء أثريان في دمشق .

احد الأروقة المقنطرة المزدانة بالنقوش الجميلةفي ساحة قصر أبو رحمان اليوسف ويرجع تاريخه إلى عام ١٧٦٦م .

إنّ المتجول في شوارع دمشق ليلحظ الكثير من المعالم الاثرية ذات الطابع القديم . ذلك ان الجدران غير الواضحة المعالم التي تنتظم في الشوارع الضيقة في أية مدينة عربية تعطي النزر اليسير عما تخفيه خلفها من آثار قد تكون على قدر كبير من الأهمية . فالأبنية العربية القديمة ليست لها حدود خارجية ، فهي في معظم الأحيان ملتصقة بعضها ببعض وليس لها شكل مميز أو منفصل . ذلك ان الاهتمام بفن العمارة يتركز على الداخل ويشمل ذلك الساحة المحاطة بالأسوار والتي تعتبر جزءاً مكملاً من تقاليد المسكن العربي .

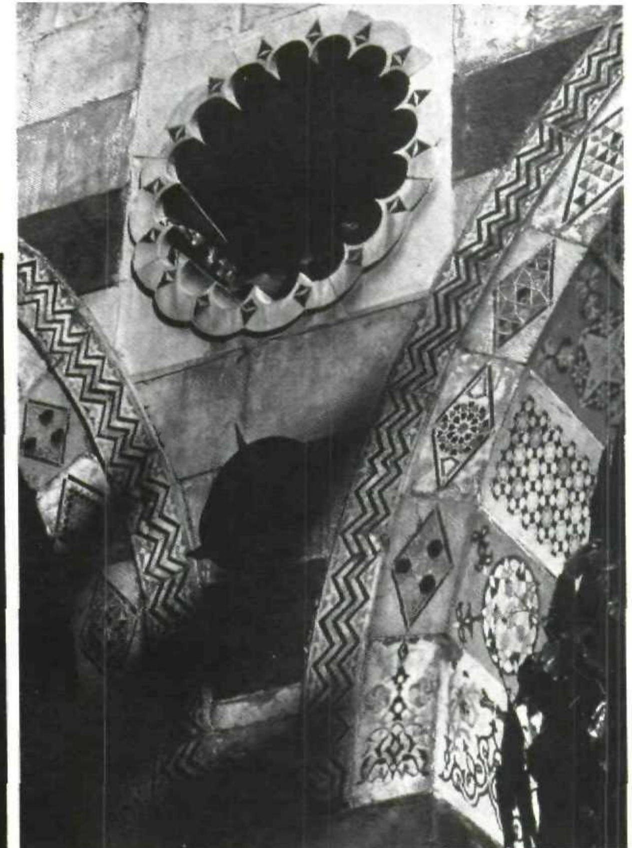
تحتضن شوارع دمشق أشياء خفية عديدة قد يكون من بينها بيوت أو قصور قديمة مهجورة أقيم فوق بعضها مبان جديدة ، أو جرى ترميمم والبعض الآخر وادخال التحسينات عليه بحيث أصبح صالحا للسكنى . ويحوي الكثير من هذه المباني والقصور القديمة سمات من الفن الزخرفي العربي باشكاله وأنماطه ودقته وروعته ، جدران من الحجارة الأفقية المخططة بألوان طبيعية مخففة ، وأرضية مبلطة بالرخام بشكل منسق ، وسقوف من الخشب محفورة ومدهونة ، وأعمدة خشبية مزخرفة ومتعددة الألوان ، تتدلى من أعاليها الفوانيس الزجاجية والمعدنية . كما توجد المواقد المصنوعة من القرميد الخزفي ومحاريب الصلاة المطرزة بالفسيفساء الذهبية تحليها الآيات القرآنية الكريمة إما محفورة عليها أو مكتوبة بالألوان ، بالاضافة إلى الزخارف العربية ، والرواسب الكلسية المدلاة من السقوف والحلي المعمارية المستديرة

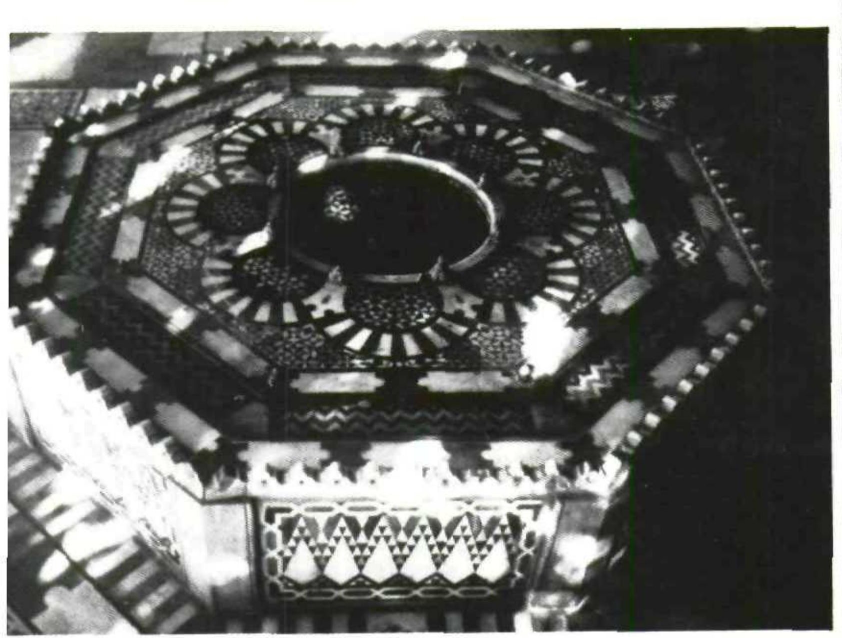


جانب من ساحة قصر العظم الاثري في دمشق .

غرفة للاستقبال في قصر سعد القوتلي الذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٧٩٧، حيث يجرى تجميع اجزائها في جامعة نيويورك كجزء من الجناح الاسلامي المزمع اقامته ضمن مجموعة متحف متروبوليتان في نيويورك .

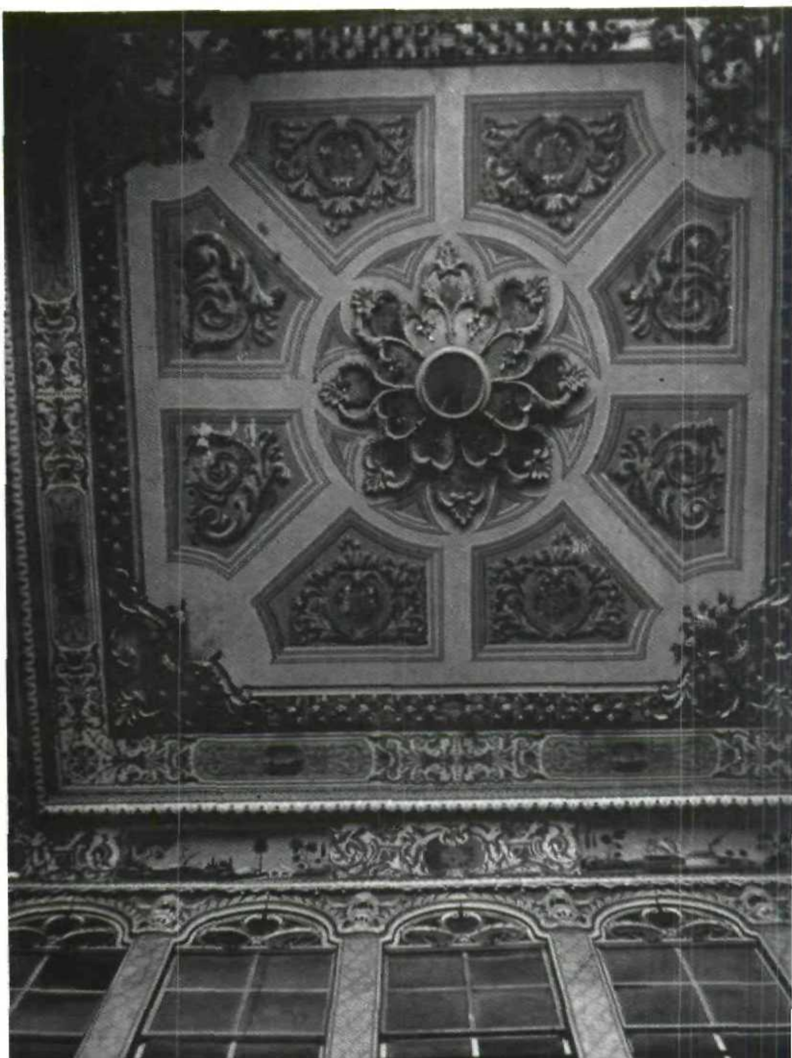
نافذة مستديرة من نتوءات مطرزة الحواشي في اسفلها ساعة شمسية بين قنطرتين تحملان نقوشاً جميلة ، وتبدو في الأسفل نافورة مياه محلاة بالمرمر الملون الجميل .



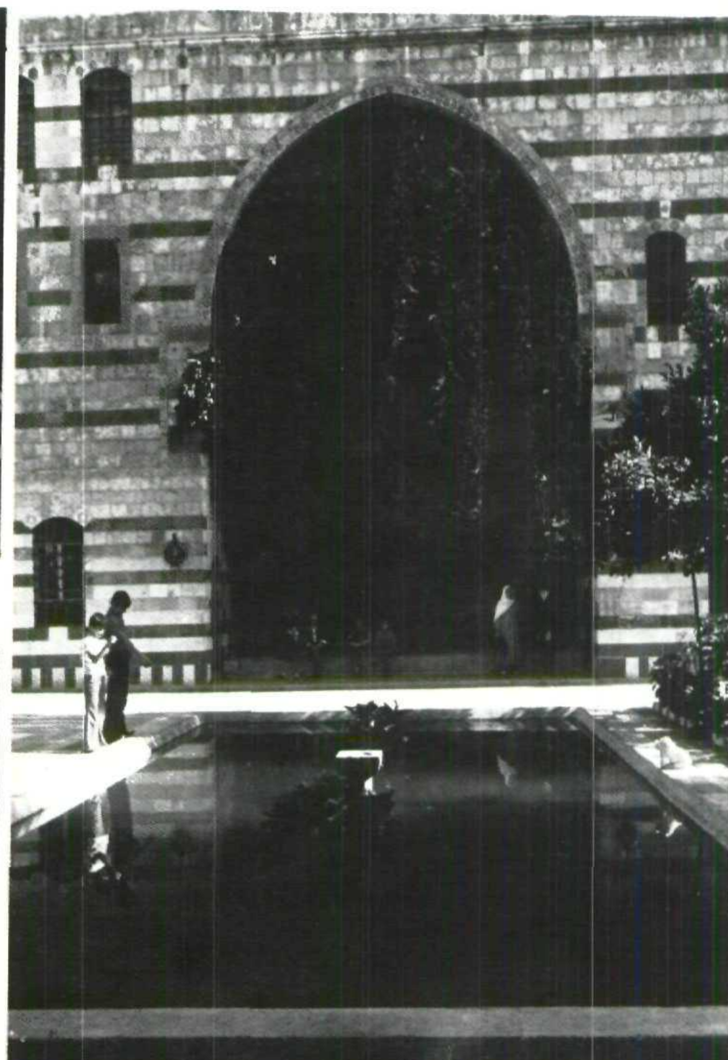


بعض اللوحات الزيتية النافرة ذات الألوان الزاهية التي يضمها قصر خالد العظم الذي يرجع تاريخه إلى عام ١٧٢٣م .

احدى القناطر الجميلة في ساحة قصر رشاد جبري .



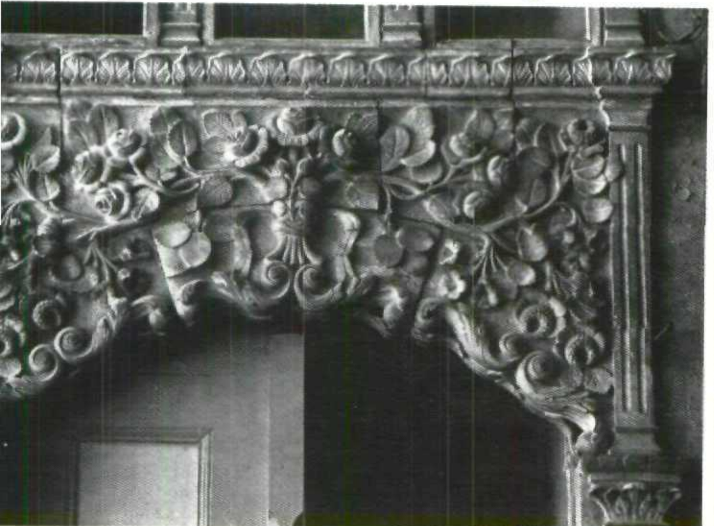




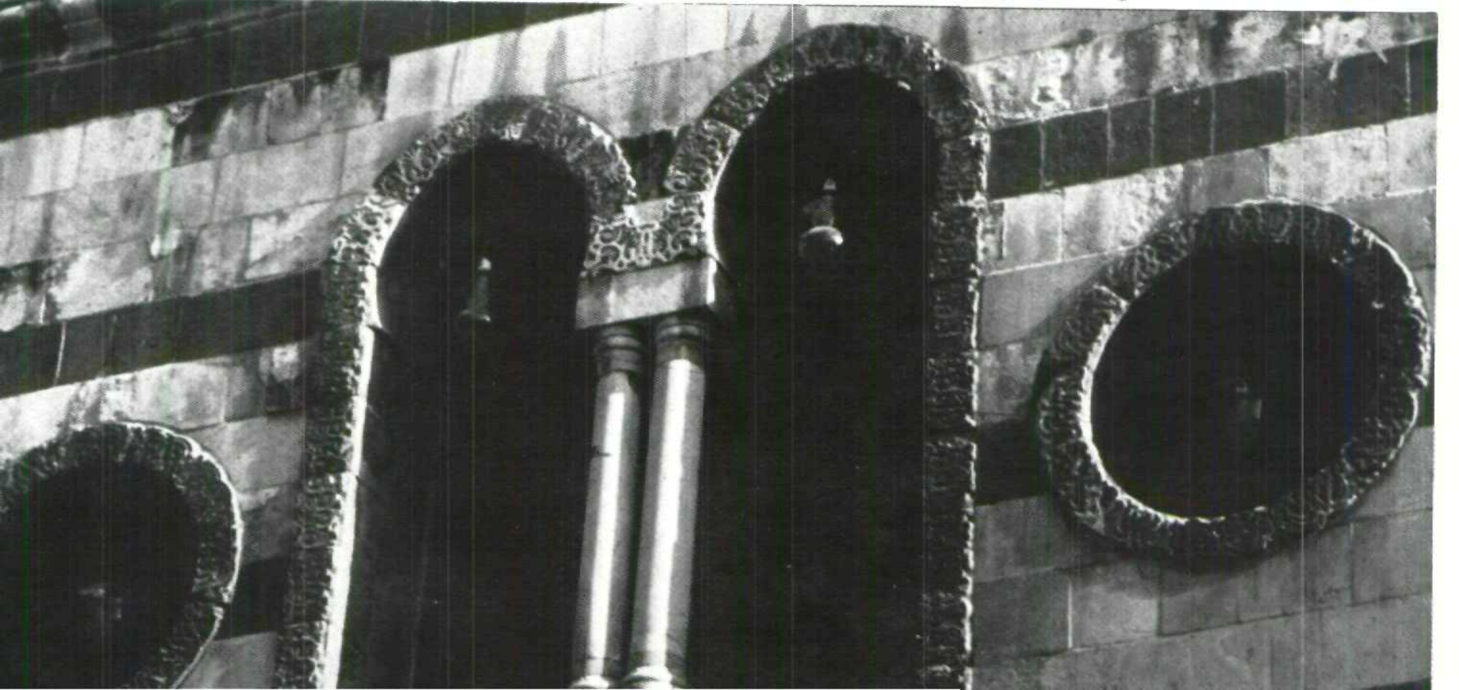
من روائع الفن المعماري الاسلامي استخدام الحجارة الملونة بشكل افقي فوق هذه القنطرة المنقوشة الحوافي .



عدد من النوافذ المعشقة بالزجاج الملون في الجزء العلوي من قصر جميل مردم ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٧٣٧م .



قبو منحوت بشكل جميل يشرف على فناء الدار في قصر فرحي جورج د... بدمشق ويرجع تاريخه إلى عام ١٧٧٥م .

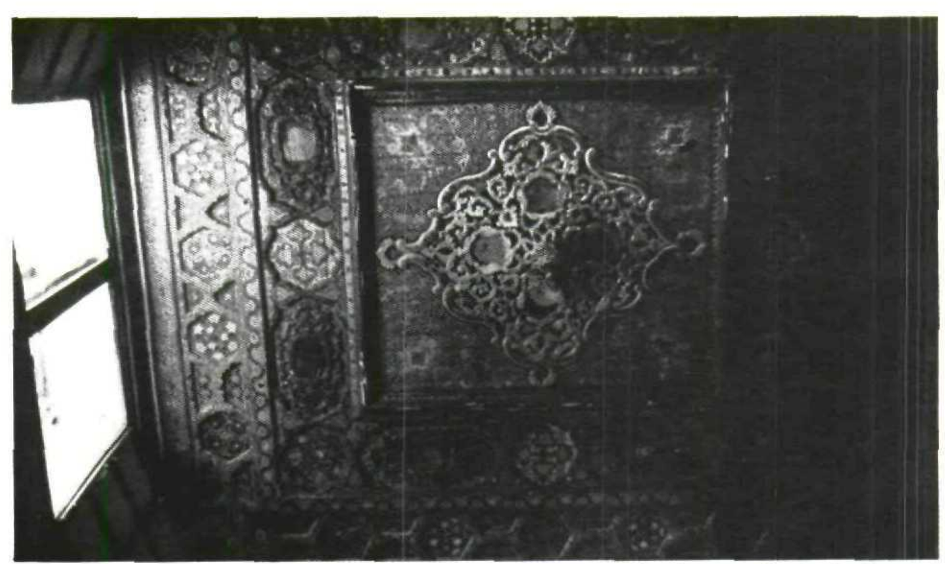


ويحتفظ متحف الفنون الشعبية في دمشق بقائمة تضم اسماء خمسة وسبعين قصراً ، يقال ان تسعة واربعين منها يقع ضمن جدران المدينة القديمة ، بينما يقع العدد المتبقي في الأماكن التاريخية القابعة خلف الجدران القديمة. وقد حصلت المديرية العامة للآثار والمتاحف عن طريق الشراء او عن طريق الوصاية القانونية على خمسة عشر قصراً ومدرسة ، وهي المدارس التي كان يدرّس فيها القرآن الكريم . وتقوم مديرية الآثار حالياً بتحويل هذه القصور والمدارس إلى متاحف او مدارس للفنون .

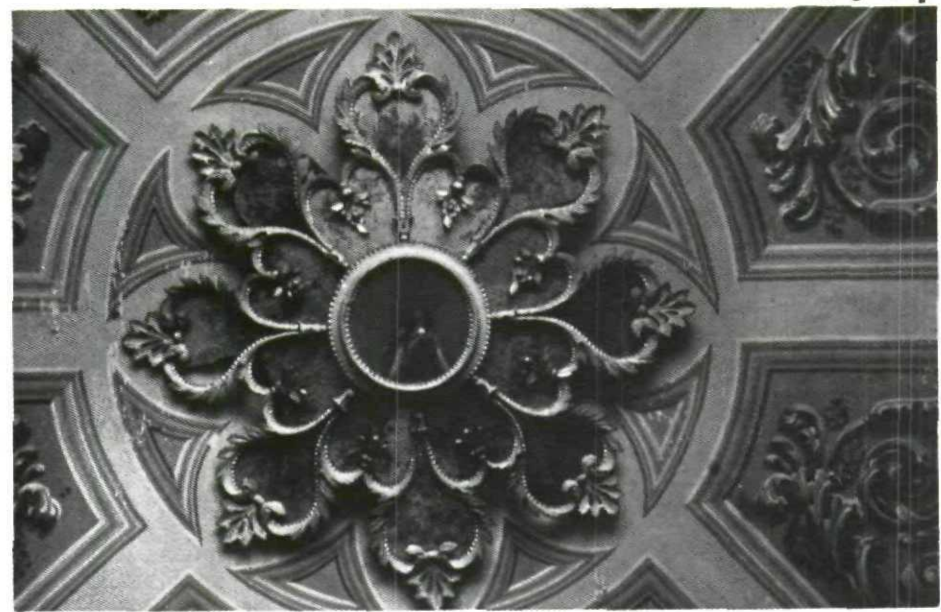
هنالك اثنين من اروع القصور الأثرية البارزة في دمشق والتي يرجع تاريخ بنائهما إلى القرن الثامن عشر ، وهما يحتويان على مجموعة من الآثار والتحف الفنية . وقد تم بناء هذين القصرين في عهد أسرة آل العظم التي حكمت دمشق من الفترة الواقعة بين عام ١٧٣٢ وحتى عام ١٨٠٨ . وقد قام بتشييد أول هذين القصرين المرحوم خالد العظم ، وهو يضم خمس ساحات كبيرة وتزدان سقوفه بعدد من اللوحات الزيتية المتناهية الروعة ، ويقع القصر إلى الشمال من المدينة القديمة . وقد حول الآن إلى مدرسة للفنون . أما قصر سعد العظم فقد بني عام ١٧٤٩ ويحتل موقع قصر الخلفاء الامويين ابان عهد خلافتهم . وهو يضم حالياً متحفاً للفنون الشعبية .

كما تم نقل غرف الاستقبال في قصرين اثريين آخرين واعيد بناؤها في عدد من الأبنية العامة . ويجري حالياً عرض غرف الاستقبال في قصر جميل مردم الذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٧٣٧ في المتحف الوطني بدمشق . بينما أعيد بناء غرف الاستقبال التي كانت في قصر السقا أميني والذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٧٩٦ في مبنى مصلحة مياه فيجي بدمشق . وهناك قصور اثرية أخرى في دمشق قد جرى ترميمها خلال الأجيال الثلاثة الماضية، من بينها قصران لاسرة القوتلي يرجع تاريخ بنائهما إلى سنة ١٧٠٣م ●

سلام يعقوب – هيئة التحرير



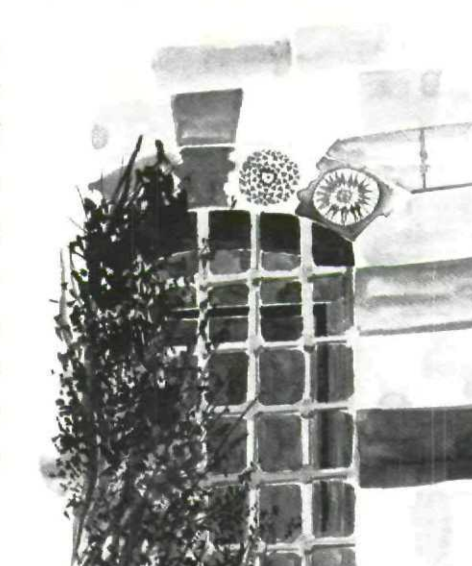
بعض الزخارف المنمنمة التي كانت تستخدم في تزيين السقوف في القصور الأثرية القديمة في دمشق .



الأشكال ، والحجارة المنقوشة او الأعمدة الرخامية والأقبية .

ولعل أكثر ما يلحظه الزائر وهو يتجول بين أرجاء مدينة دمشق نوافير المياه . فقلما تخلو ساحة من ساحات البيوت الداخلية من أحواض المياه والينابيع والقنوات المائية التي تنمو على حوافيها مختلف انواع النباتات البرية ذات الأزهار الجميلة . ان احداً لا يستطيع الوقوف على عدد القصور القديمة المغمورة في مدينة دمشق . ففي عام ١٩٥٣ نشر المتحف الوطني السوري قائمة تضمنت خمسين قصراً يعود تاريخ بنائها إلى القرنين الثامن والتاسع عشر ، لكن بعض هذه القصور قد اندرست آثارها .

نافذتان مقنطرتان تستندان إلى عمودين من الرخام يعكسان طابع البناء الاسلامي القديم وعلى جانبيهما نافذتان مستديرتان رصعتا بالحجارة الملونة المنقوشة



الروايـــة الانجليــزية

تـاريخـاً ونقـــداً

— ٢ —

بقلم: الأستاذ حسين الجيار

في الحلقة الأولى من بحثنا عن « الرواية الانجليزية — تاريخاً ونقداً » — تعرضنا لكل المحاولات التي بدأت هزيلة قبل القرن السادس عشر . وقد جاء عصر النهضة الى انجلترا بغزو فكري جلب معه الى سماء القصة الانجليزية كثيراً من الحكايات الايطالية ، ثم غزو آخر عبر القنال الانجليزي حاملاً معه كثيراً من سمات القصص الروماني الذي كان في ذلك الوقت طابع القصة الفرنسية .

وكان من نتائج ذلك الغزو الفكري أن ظهر عدد كبير من كتاب القصة الذين كانوا يهدفون أولاً وقبل كل شيء الى جلب المتعة والتسلية الى القراء . وبرز من هؤلاء « جون للي » والسير «فيليب سدني» و «جون جرين» ثم «توماس ناش » .

وانتهى عصر الملكة اليزابيث ، وجاء القرن السابع عشر بحدثين على جانب كبير من الأهمية : أولهما ظهور جماعة المتطهرين الذين أصدر برلمانهم قراراً باغلاق المسارح ، فبدأت الدراما بسبب ذلك في الاضمحلال تاركة الفرصة سانحة لكتاب القصة كي يملأوا الفراغ عن طريق الرواية ، وثانيهما أن الحرب الأهلية التي اشتعلت خلال ذلك القرن قد خلقت التفكير الاجتماعي الذي لم يكن موجوداً من قبل ، والذي جعل الناس يدركون تعقد النفس الانسانية وصلة هذه النفس بالكون كله . وفي ذلك القرن برز كاتبان كبيران هما « جون بانيان » و كونجريف » .

ثم جاء القرن الثامن عشر الذي يعد في حقيقة الأمر عصر مولد الرواية الانجليزية . بدأ ذلك بعض كتاب المقال من أمثال « ستيل » و «أديسون »حين اهتما بالشخصيات وتحليلها . ثم ظهر « دانيل ديفو » الذي استطاع بموهبته الفنية أن يمزج الحركة والحدث بالشخصية مزجاً غريباً رائعاً . وجاء بعد ذلك « دين سويفت » بأسلوبه الساحر وخياله الساحر . ويرجع الفضل الى « ديفو » و« سويفت » في أنهما أوجدا في الرواية عنصرين هامين : هما الشخصيات الحية المقنعة والقصة الحية المحتملة . بقي بعد ذلك أن تتضمن الرواية عنصراً ثالثاً يربط العنصرين السابقين . هذا العنصر الثالث هو الاهتمام بالعلاقات الانسانية ، وبالحقيقة الكبيرة التي تؤكد أن الانسان لا يعيش لنفسه فقط ، بل انه جزء لا يتجزأ من مجتمع قد يتهرب منه أو يتحداه ولكن ليس في مقدوره أبداً أن يتجاهله .

ولهذا فقد تهيأ الناس جميعاً لاستقبال الرواية بكل معانيها ممثلة في رائعة « صمويل رتشاردسون » الأولى « Pamela » .

لقد كانت « Pamela » قصة خفيفة ، لكنها رويت ببراعة تشير الى أصالة فن كاتبها «صمويل رتشاردسون— Samuel Richardson » ، كما أنها كانت تفوق كل تجديد حدث في الرواية حتى ذلك الحين . ان سحر هذه الرواية يرجع الى حيوية الحوار كما يرجع الى دقة العبارة واختيار الألفاظ . لقد كتبت في صورة خطابات ، ولكنها كانت أكثر من ذلك : لم يكن « رتشاردسون » يجيد تفصيل الأحداث فحسب ، بل كان يحس احساساً عميقاً بمكانة هذا التفصيل من الناحية الفنية . وجاءت بعد « Pamela » رواية « Clarissa » لنفس الكاتب ، وهي التي كانت وستظل واحدة من أروع ما كتب في تاريخ الرواية الانجليزية .

ان المرء ليقف عاجزاً صامتاً أمام روعة تلك الرواية الانجليزية الأولى « Pamela » وهكذا كان الناس وقت ظهورها . غير أن الكمال لا يمكن أن يتصف به مخلوق ، فليس الكمال إلا لله وحده .

وهكذا برز « هنري فيلدنج — Henry Fielding » ، المعاصر لرتشاردسون والذي يصغره بتسع سنوات ، برز ليقرأ « Pamela » وليبدأ من ناحية النقص فيها في كتابة روايته التي لا تقل عن « Pamela » روعة وهي : « Joseph Andrews » جاعلاً من بطله الذي تحمل الرواية اسمه أخا لبطلة رواية رتشاردسون « Pamela Andrews » ، واذا كانت الانعزالية والانطواء هما السمتين الغالبتين في رواية «رتشاردسون» ، فقد كانت الحركة والانفتاح على العالم الخارجي والحماس للتغير والتغيير هي السمات الغالبة في رواية «فيلدنج». وقد كان عند «فيلدنج» ما يقوله أكثر مما كان عند «رتشاردسون»، ولذلك فان مضمون كل رواية من رواياته كان دائماً يشتمل على أكثر مما كان يوحي به شكلها . ولقد كان فيلدنج هو الكاتب الذي مثل الرجولة بأجلى معانيها ، ولم يكن يدانيه أحد في هذا المضمار ، مثله في ذلك مثل « جين أوستن — Jane Austen » التي عبرت عن فنها في أنوثة لم تشهد الرواية الانجليزية لها مثيلاً . والغريب في الأمر أن الاثنين كان يغمرهما احساس بالمرح والفكاهة لم يكن يدانيهما فيه أحد .

لقد كان ظهور «رتشاردسون» و«فيلدنج» ، بكل ما يمثلان من تناقض في الاتجاهات ، حدثاً هاماً ورائعاً في تاريخ الرواية الانجليزية . انهما يمثلان مظهرين متناقضين من مظاهر الخلق والمزاج الانجليزي ، وان كل من خلفهما في كتابة الرواية — باستثناء «اميلي برونتي — Emily Bronte » يسير في خط هذا أو ذاك . ان رواية «Pamela » ورواية « Tom Jones »

التي كتبها «فيلدنج» عام ١٧٤٩ دون ما اشارة الى ثالثة كتبها عام ١٧٥١ وهي « Amelia » تقفان الآن شعلتين يتطلع اليهما كل من يريد أن يسير على الدرب الصحيح في كتابة الرواية الانجليزية .

وجاء بعد «رتشاردسون» و «فيلدنج» بعض الكتاب الذين مارسوا كتابة الرواية الانجليزية وعالجوا ناحية أو أكثر من نواحيها المختلفة . كان أول هؤلاء « توبياس سمولت — Tobias Smollet » في بعض رواياته الشهيرة التي بدأت برواية «Roderick Random» عام ١٧٤٨ وانتهت برواية «Humphry Clinker» عام ١٧٧١ . ويعد «سمولت» أول روائي حاول تعريف الرواية بقوله انها صورة كبيرة متناثرة الأجزاء تضم شخصيات الحياة ، التي تتشكل في مجموعات مختلفة ، وتعرض اتجاهات متباينة من أجل الوصول الى خطة موحدة لا يمكن الوصول اليها بطريقة سليمة ومحتملة وناجحة دون أن تكون هناك شخصية رئيسية تشد الانتباه ، وتربط الأحداث ، وتفك الرموز والمتاهات المغلقة ، وأخيراً تختم الرواية بدافع من أهميتها الذاتية . ومع ذلك فان مما يوجه الى «سمولت» من نقد ان أبطاله لم تكن لديهم القدرة على ربط الأحداث التي كانت من الكثرة بحيث يصعب على شخصية واحدة أن تربطها .

وبجانب « سمولت » كان هناك « لورانس ستيرن — Laurence Stern » الذي كتب رواية « Tristram Shandy » عام ١٧٥٩ ، ثم رواية « Sentimental Journey » عام ١٧٦٨ . ثم جاء دكتور « جونسون » بروايته القصيرة الرائعة « Rasselas » التي مهدت الطريق لرواية : « The Vicar of Wakefield » التي كتبها « أوليفر جولد سميث — Oliver Goldsimth » عام ١٧٦٩ ، والتي تفيض رقة وعذوبة وتعد من علامات الطريق البارزة المميزة للرواية في القرن الثامن عشر .

وبرز في نفس القرن كتاب للرواية آخرون مثل «فاني بيرني — Fanny Burney » بروايتها « Evelina » عام ١٧٧٨ و « Cecilia » عام ١٧٩٠ . وبالرغم من أنها امرأة ، الا أن ضعفها في تصور شخصية المرأة ممثلة في بطلات روايتيها واضح كل الوضوح . ان الروح الفتية الشجاعة في المرأة كانت قد عولجت من قبل على يد «رتشاردسون» و «فيلدنج» ، ولكن المرأة كانت تنتظر أن يصبح صوتها مسموعاً . ولقد تم لها ما ارادت فيما بعد — على ايدي « جين اوستن — Jane Austen » والاخوات برونتي « The Bronte Sisters » .

ولقد توقف بعد ذلك — ولفترة طويلة — الدافع الاجتماعي القوي للرواية الانجليزية . ثم قامت ثورة ضد العقل وسلطانه المقيد ، وظهر اتجاه يرمي إلى الهروب من المجتمع والانغماس في دنيا الخيال . وبرز « هوريس ولبول — Horace Walpole » بروايته « The Castle of Otranto » ومن بعده «مسز رادكليف — Mrs. Radcliffe » في روايتها « Mysteries of Udolpho » ليفتحا عهداً جديداً من الرومانسية الخيالية في الرواية — تلك الرومانسية التي تصور بحق طبيعة الخلق والمزاج الانجليزي . حتى هل القرن التاسع عشر ليحدث نوعاً من التوازن بين الجمود والانطلاق ، وليلطم العقل في مجموعة هائلة من الروايات تسكته حيناً طويلاً من الدهر ليحل محله الخيال والحب والمتعة والجمال .

لم تكن « جين أوستن — Jane Austen » رغم ظهورها ككاتبة رواية في مطلع القرن التاسع عشر تنتمي إلى أي عصر . ولقد كان ذلك محل كثير من التعليق مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها قد سبقت عصرها بمراحل . لقد قرن اسمها من قبل باسم «فيلدنج» من حيث احساسهما بالفكاهة وروح المرح ، اذ كانت تقرأ كثيراً من الروايات التي ظهرت قبل عصرها ، وخرجت من قراءتها بنتيجة هي أنه لا داعي — ولا ينبغي أن يكون هناك داع — لأن تهبط الرواية من مكانة المجد والشرف التي كسبها لها رتشاردسون وفيلدنج ، وصار دفاعها عن الرواية يتركز في أنها اداء فني يتميز بالعبقرية والذكاء واللباقة والذوق . وبناء على ذلك فقد حملت قلمها وأخذت تكتب بحرارة وحماسة وايمان ، واحاطت كل موضوع عالجته بما كانت تملكه من قدرة واحساس . حقيقة أنها — من خلال فنها — لم تحاول ان تخرج عن محيطها وبيئتها التي كانت تعيش فيها كسيدة لها خبراتها ولها تجاربها : ذلك أن رواياتها تصور حياة اللهو والعبث التي كان يحياها الشبان والفتيات في بيوت القرية وفي أثناء الزيارات لمدينة لندن وغيرها . فقد كان الرجال والنساء في حركتهم وسلوكهم موضوع رواياتها ، ولكنها — بكل دقة وحيوية — وضعت الحركة والسلوك والحدث حيث يجب أن توضع : في الصالونات وصالات الحفلات والحدائق والشوارع التجارية . ولم يكن ما صورته عالماً معيناً ، ولكنه يتعلق بالتجربة البشرية — مصوراً أجمل تصوير . ومع ذلك فقد كانت نظرتها إلى الحياة غير محددة بالصالونات والحدائق وغيرها . انها كانت تضمن المناظر البسيطة حقائق كبرى تجعل هذه البساطة تتلاشى سريعاً . لقد كانت ترفض الخرافة القائلة بأن الحياة المكشوفة — كما تصورها مطابخ اللصوص ، والسجون ، والحانات — هي بالضرورة أكثر امتاعاً من الحياة المغطاة داخل البيوت أو في صالات الحفلات . وحقيقة انها لم تصور من بين شخصياتها ثائرين ، فشخصياتها دائماً تنتظر وتستقي المتعة من خلال الحياة السهلة التي يعيشونها . ولكنهم يخططون وينشدون الظروف المثالية والعلاقات المثالية داخل عالمهم الذي يعرفونه حق المعرفة . وانهم يعرفون أين يمكن أن يوجد الكذب والغش والخداع والفوضى والظلام ، ولكنهم مطمئنون في عالم يسوده النور ، ويظلله السلام والحب ، عالم حقيقي مطلق ابتكرته لهم مبدعتهم «جين أوستن» . وكثيراً ما تتهم «جين اوستن» بأنها لم تعط عاطفة الحب قدرها الحقيقي ، وبأن شخصياتها الشابة المتحضرة تنكر على العاطفة مكانتها الحقيقية . ولعل مرد ذلك الاتهام إلى أنها كانت تؤمن بالحب العقلي أكثر من ايمانها بالحب الحسي . ان « جين اوستن » في كل ما كتبته : «Sense and Sensibility » عام ١٨١١ و « Pride and Prejudice » عام ١٨١٣ و «Mansfield Park» عام ١٨١٤ و « Emma » عام ١٨١٦ و «Persuasion» مع «Northanger Abbey» عام ١٨١٨ (بعد عام من موتها) — انها في كل هذا قد بلغت القمة ككاتبة رواية من حيث القصة والشخصيات والحوار والبيئة ، ومن حيث سلاسة الأسلوب وروح الفكاهة والمرح التي تجعل من قراءة رواياتها متعة لم يسبق لها نظير . لقد وجدت رواية السلوك طريقها الصحيح على يد « جين اوستن » .

ولقد عاصر «جين اوستن» واثرى الرواية الانجليزية كاتب آخر له دوره الكبير الذي احدث به تطوراً كبيراً في تاريخ الرواية : انه « سير والترسكوت — Sir Walter Scott » الذي أبرز فكرة الرواية التاريخية إلى حيز الوجود . حينما اتجه إلى كتابة الرواية ، لم

يكن مدفوعاً باحساسه بالمجتمع بقدر ما كان مدفوعاً باحساسه بالعنصر والجنس . لقد أبرز سكوت ماضي بلاده – بكل ما كان يملأ هذا الماضي من أحاسيس – إلى دنيا الحاضر . وبالرغم من أن ابرازه لجنسه الاسكتلندي – فلم يكن سكوت انجليزياً – كان واضحاً كل الوضوح من حيث التاريخ والبيئة والتقاليد والمشاعر الجياشة التي يتميز بها الاسكتلنديون ، فانه قلما تناقش قدرته كروائي كبير من هذه الزاوية ، بقدر ما تناقش من ناحية أنه أضاف جديداً إلى الرواية الانجليزية ، واثر كثيراً فيمن خلفه من الروائيين وقدم الرواية التاريخية لأول مرة في تاريخ الرواية الانجليزية الطويل . وفي الواقع ان «سكوت» يتميز بأن قصصه دائماً تتضمن العواطف البطولية الجياشة ، وان شخصياته تشمل الراقية والمنحطة ، وفيها الكثير من السذج البسطاء ، وأن أسلوبه في الكتابة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعواطف الجياشة التي تسيطر على جميع شخصياته ، بحيث يتهاوى الأسلوب قليلا كلما أصاب العاطفة ضعف او خضعت لنوع من النكوص . ولكن هذا الاسلوب على كل حال – يتميز بشاعرية غنية – ولا عجب فقد كان «سكوت» بشاعراً موهوباً ايضاً – تلك الشاعرية التي أضافت وتضيف كثيراً إلى النثر الروائي الانجليزي . ان مكتبة الرواية الانجليزية تعمر بعديد مما كتبه سكوت من روايات وأهمها : «Waverlay» عام ١٨١٤ ، «Guy Mannering» عام ١٨١٥ ، «The Antiquary» عام ١٨١٦ ، «The Heart of Midlothian» عام ١٨١٨ ، «Th eBride of Lammermoor» عام ١٨١٩ ، «Ivanhoe» عام ١٨٢٠ «Kenilworth» ، عام ١٨٢١ ، «Peveril of the Peak» عام ١٨٢٢ ، «Quentin Durward» عام ١٨٢٣ ، «Redgauntlet» عام ١٨٢٤ ، «Wood Stock» عام ١٨٢٦ ، «The Fair Maid of Perth» عام ١٨٢٨ ، «Count Robert of Paris» مع «Castle Dangerous» عام ١٨٣٢ .

ولقد كان تأثير «سكوت» على ما جاء بعده كبيراً . غير أن هذا التأثير وجد من يقاومه في شخص «وليم ثاكري William Thackeray» الذي آلى على نفسه أن يقف ضد الاحداث البطولية التاريخية التي تميزت بها روايات والترسكوت . لقد كان «وليم ثاكري» يشعر بحنين غريب إلى القرن الثامن عشر وواقعيته إلى حد جعله يأسف لظهوره وحياته في القرن الذي تلاه ، مما جعله يحس بأنه كان من الممكن ان يكتب بطريقة أفضل لو لم يكن انجليزياً . وبالرغم من هذا فقد كتب ، وفي كل ما كتب كان ميله الطبيعي نحو تصوير الاشرار لا الأخيار من الناس . انه يسخر من هؤلاء الأخيار ، ويرى الرذيلة في صورة العاطفة . وهذا هو ما حوته أشهر رواياته «Vanity Fair» التي تأسر القارىء وتستحوذ على كل مشاعره منذ الكلمة الأولى حتى آخر حرف فيها . وبالرغم من أن «Vanity Fair» كانت أول ما كتب وليم تاكري ونشر له في حلقات شهرية في الجرائد عامي ١٨٤٧ – ١٨٤٨ ، فانها خلقت لنفسها حقبة خاصة من الزمن بما تضمنته من اسراف في الحدث والشخصية والاحساس بالزمن في جو من الفكاهة التلقائية في نقد الحياة . وجاءت بعد «Vanity Fair» رواية «Esmond» عام ١٨٥٢ التي لها أهمية خاصة كأول رواية تاريخية تدور قصتها حول عصر الملكة آن . وهناك ايضاً رواية «Pendennis» التي سبقت «Esmond» بأربعة أعوام ، وكذلك «The Newcomes» في أعوام ١٨٥٣–١٨٥٥ ، ولهاتين الروايتين أهميتهما الخاصة حيث أنهما تصوران الطبقة التي كان ينتمي اليها «ثاكري» والعصر الذي كان يعيش فيه وهو الجزء الأول من عصر الملكة فيكتوريا .

أما بالنسبة لتشارلز ديكنز فلست أذكر أنني قرأت عن تأثير لسير والتر سكوت عليه ، ولكن لا بد أن يكون الجو الذي خلفه سكوت قد أثر في ناحية ما من المزاج الفني لدى «ديكنز» . اذ انه بينما تتصف موضوعات «ديكنز» بالنثرية المتكلفة وموضوعات سكوت بالشاعرية الواضحة ، نرى أنهما يشتركان معاً في الطاقة الرومانسية الخيالية . فالخيال عند «ديكنز» لا تحده حدود . لقد كان طوال فترة شبابه لا يمل القراءة ، واستطاع أن يكون الملكة القصصية في سن مبكرة من حياته ، واتخذ من تجاربه الشخصية مادة دسمة يغذي بها موضوعات قصصه . لقد كانت الطبقة التي نشأ فيها ديكنز لا تلقى أي اهتمام من جانب الفن والمجتمع معاً ، ذلك أنها كانت نتاجاً لعصر سيطرت عليه الأفكار التجارية المتقدمة ، بينما تواضعت – بل على الاصح انحطت – فيه القيم الانسانية : فلم تكن انجلترا في حالة تسمح لها بتقبل الأوضاع التي أوجدها التصنيع بسهولة ، ولا عجب حينئذ أن نرى «ديكنز» مدفوعاً بالرغم منه إلى العيش في متاهات من الظلم والضياع البشري ، تكشفت له على حقيقتها عن طريق ارادته الواعية وحاسته السليمة ، وبالرغم من ان النجاح قد صادفه مبكراً عند ظهور روايته «Pickwick Papers» عام ١٨٣٦ ، فانه لم يكف اطلاقاً عن الاحساس بكل ما كان يراه ، فصوره على حقيقته ، وعرى المجتمع الانجليزي بكل ما فيه من رذائل ، ثم عاش ليرى ما أعقب هجماته من اصلاح . لقد اتخذ سبيل الاحساس تعبيراً عما أراد ، ولم يلجأ إلى الفكر على الاطلاق . ولكن دعنا من ذلك لنؤكد أنه كان فناناً من الطراز الأول ذا خيال طفولي بريء ، يصور السعادة الحسية كما يراها الطفل في غرفة دافئة مضاءة ، في وجه صاف يدعو إلى الثقة ، في وهج النيران ، وفي ازيز الرياح . وفي الوقت ذاته يصور مدى تفهم الطفل لكل غريب مجهول مخيف ، ولكل ما يحمل في طياته أي نوع من أنواع التهديد كما أنه يصور الشعور بالوحدة والاحساس بالضياع وبالخيانة في كل قوتها المخيفة التي يراها الطفل . وبالرغم من أنه يعبر عن الحب في صورة مملاة غير مقنعة ، الا أنه يعد معبراً من الطراز الأول عن النزعات الشريرة ، وربط الاحساس بالتهديد مع الصداقة في صورة لم يسبقه اليها أحد من قبل .

ان المكتبة الانجليزية في أي بقعة من بقاع العالم لا تخلو من عديد مما كتبه «تشارلز ديكنز» من روايات ، وانه لا يزال يقرأ اليوم بنفس الحرارة وبنفس الحماس اللذين استقبله بهما قراء الروايات في العصر الفيكتوري الأول والوسيط ، لأنه وان كانت ظروف الحياة التي عاشها «ديكنز» قد تغيرت ، الا أن الانسان الذي صوره – في طفولته وشبابه وشيخوخته – لا يزال هو نفس الانسان بنزعاته الخيرة والشريرة بآماله وآلامه بكل ما يهدد حياته من أساليب الدمار ، وبكل ما ينتشر فيها من عوامل الطمأنينة والسعادة والاستقرار ، اقرأ معي :

"Great Expectations", "Oliver Twist", "Martin Chuzzlewit", "Edwin Drood" "Bleak House", "David Copperfield"

إلى آخر السلسلة الطويلة من روائع ما أثرى به المكتبة الانجليزية من روايات ، تلمس بنفسك ان العبقرية الانجليزية قد وجدت في «تشارلز ديكنز» متنفساً كبيراً . لقد قرنت حماسته وروح الفكاهة فيه بما كان في «فيلدنج» ، ولكنه يشارك «رتشاردسون» في تفهمه للجانب الانفعالي في التركيب البشري ●

حسين الجبار – جامعة الملك عبد العزيز

أخبار الكتب

* أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » لجمال الدين علي بن يوسف القفطي من تحقيق الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ، و « رصف المباني في شرح حروف المعاني » للامام أحمد بن عبد النور المالقي من تحقيق الأستاذ أحمد محمد الخراط ، والجزء الثاني من كتاب « مشكل اعراب القرآن » لمكي بن أبي طالب القيسي من تحقيق الأستاذ ياسين محمد السواس .

* صدر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري الجزء التاسع عشر من تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، والجزء العشرون من تحقيق الأستاذ محمد رفعت فتح الله ومراجعة الأستاذ ابراهيم مصطفى ونشر الهيئة المصرية .

* ومن كتب التراث الأخرى التي حققت أخيراً الجزء الثاني من كتاب « الزهرة » لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني وقد حققه الدكتوران نوري القيسي وابراهيم السامرائي ونشرته وزارة الاعلام العراقية ، و « التسهيل لعلوم التنزيل » للامام الحافظ بن جزي وقد حققه الشيخ محمد عبد المنعم اليونسي والشيخ ابراهيم عطوة ونشرته دار الكتب الحديثة و « شعر ابن طباطبا العلوي » وقد حققه الأستاذ جابر الخاقاني ونشره اتحاد الكتاب ببغداد ، و « دلالة الحائرين » لموسى بن ميمون القرطبي الأندلسي وقد حققه الأستاذ مقداد يالجن .

* أصدرت مجلة « الضاد » الحلبية بالاشتراك مع جامعة حلب عدداً خاصاً عن العلامة السوري الراحل الدكتور سامي الدهان المتوفى في عام ١٩٧١ بمناسبة اهداء مكتبته الخاصة إلى كلية الآداب بجامعة حلب .

* ومن الكتب التذكارية كتاب جديد صدر عن « المؤرخ والجغرافي أبي الفداء صاحب حماة » في ذكرى انقضاء سبعمائة عام على ميلاده ، وقد أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية في سورية ، وتضمن عدداً من البحوث .

* وفي باب السير والتراجم ، صدرت دراسة عن « مصطفى كمال أتاتورك » للأستاذ حلمي مراد في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف ، ودراسة عن « مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب » للأستاذ محمد محمود رضوان ونشر دار الهلال ، وعن « شنكارا : أبو الفلسفة الهندية » للمرحوم الدكتور فؤاد محمد شبل ونشر الهيئة المصرية .

* كتاب كبير من جزءين صدر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن « الأدب العربي الحديث ومدارسه » تناول فيهما الاتجاهات الجديدة في الآداب ومدارسه وأعلامه وخصائصه .

* صدر الجزء الثاني من كتاب « من الأدب المقارن » للأستاذ نجيب العقيقي ، وقد اشتمل على ترجمات لمئات من الأدباء المعاصرين في مصر وسورية والعراق والأردن وفلسطين ولبنان والمهاجر ، كما تضمن سير الأدباء العرب الذين ألفوا كتباً باللغات الأجنبية . والكتاب يقع في نحو ٥٠٠ صفحة وهو من أهم المراجع المعتمدة للأدب المعاصر . هذا وقد شرعت مكتبة الأنجلو المصرية في طبع الجزء الثالث لكتاب « الأدب المقارن » وبه تكتمل الموسوعة الجديدة التي انجزها للأستاذ العقيقي بعد موسوعته عن المستشرقين .

* ومن الدراسات الأدبية الجديدة الكتب التالية : « دراسات في المسرحية الحديثة » للأستاذ موسى السوداني ، ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « الحركة الشعرية المعاصرة في حلب » للأستاذ أحمد دوغان ونشر المطبعة العربية في حلب ، و « اساليب النثر الفني » للأستاذ لطيف العكام ونشر مطبعة الغرى ، و « الرؤية الداخلية للنص الشعري » للاستاذ أنس داود وطبع القاهرة .

* أحدث ما صدر من كتب المراجع كتاب « الدليل الببليوجرافي للرسائل الجامعية » وقد اعده ونشره مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم ، و « مراجع الكتب والمكتبات في العراق » للأستاذين كوركيس عواد وفؤاد قزانجي ، و « النتاج النسوي في العراق خلال ١٩٢٣ – ١٩٧٤ » وقد أعده الأستاذ عبد الحميد العلوجي بمقدمة للسيدة بديعة أمين ، ونشر الكتابان عن وزارة الاعلام العراقية .

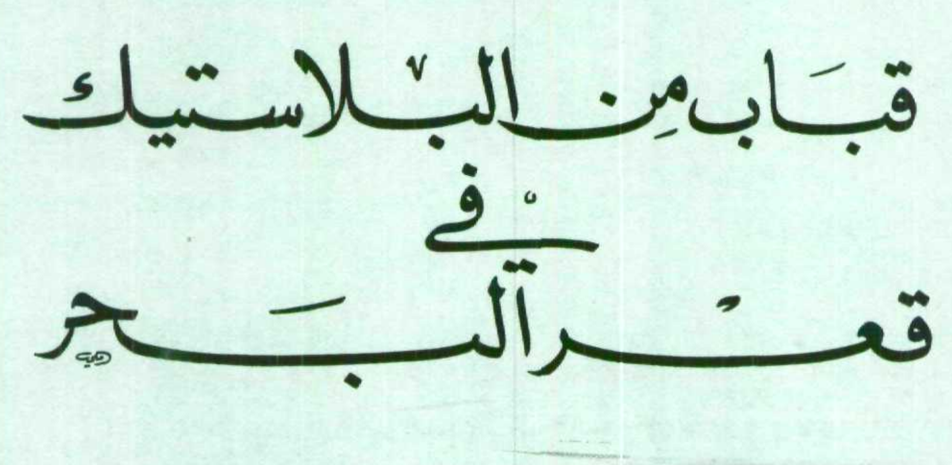
* من دواوين الشعر الجديدة التي صدرت الجزء الخامس من « ديوان الجواهري » للشاعر محمد مهدي الجواهري ، وقد حققه الدكاترة ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي وعلي جواد الطاهر والأستاذ رشيد بكتاش ، وقد نشرته وزارة الاعلام العراقية ، و « ستائر الهودج » وهو ديوان فيه فصول نثرية للشاعر المهجري الأستاذ شفيق معلوف وقد صدر في البرازيل ، و «لحظة لم تولد بعد» وهي قصائد للأستاذ انور محمد نشرتها دار المكتبة الخضراء في حلب ، و « صمت الجرس » للأستاذ عبد الرحمن الأبنودي ونشر الهيئة المصرية .

* في الأدب الروائي صدرت مجموعة أقاصيص للأستاذ كمال رستم عنوانها « عندما يستيقظ الضمير » وقد نشرتها دار البيان ، كما صدرت ثلاث روايات هي « النهر » للأستاذ عبدالله الطوخي ، و « الموت والتفاهة » للأستاذ شوقي عبد الحكيم وكلتاهما من طبع الهيئة المصرية و « طرح البحر » للأستاذ يوسف القعيد ونشر دار الهلال .

* في الصحافة والاعلام ظهرت الكتب التالية : « أسرار صحفية » للأستاذ حافظ محمود النقيب الأسبق للصحافة المصرية وقد نشرته دار الشعب ، و « الاعلام والثقافة والتنمية القومية » للأستاذ عبد الغني عبد الغفور وقد نشرته وزارة الاعلام العراقية ، و « الاعلان التليفزيوني » وقد أعدته ونشرته وكالة الأهرام للاعلان .

* صدر للأديب اللبناني الراحل الشيخ ابراهيم المنذر كتاب « حديث نائب » وفيه طائفة من الخطب والفصول . وقدم للكتاب الأستاذ عبد الله المشنوق ونشرته مكتبة الدراسات العلمية .

* « مقدمة في العلوم التربوية » عنوان كتاب ظهر للدكتور عبد الغني نوري عن مؤسسة الثقافة العمالية ●



احدى قباب البلاستيك وقد وضعت فوق نبتة نامية في قاع البحر وذلك بهدف تسجيل تغيرات الاكسجين التي تطرأ على النباتات في المياه النظيفة وفي المياه الملوثة.

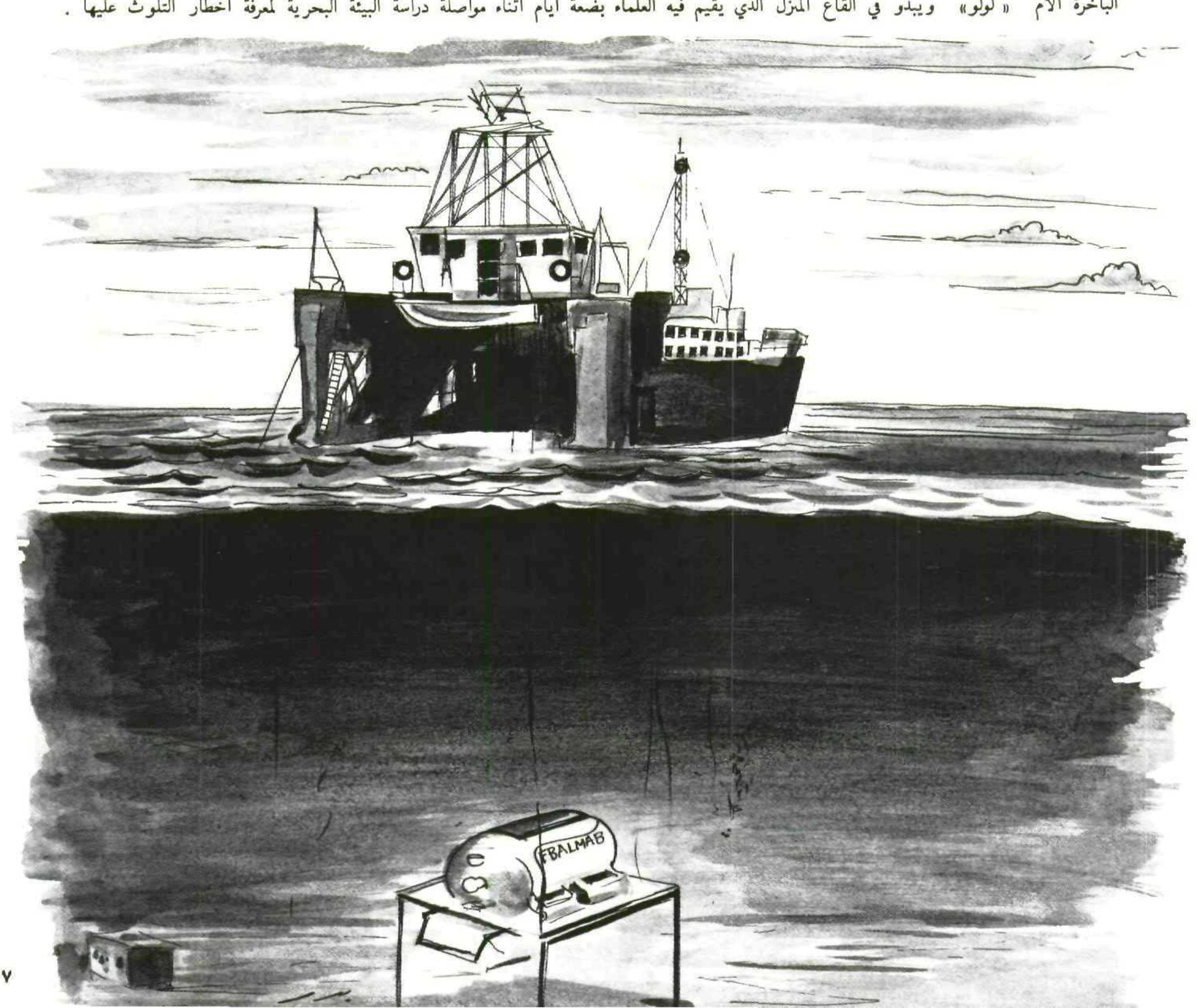
دأب العلماء على البحث والتجربة في سبيل اثبات نظرياتهم ، متجشمين ازاء ذلك الكثير من المتاعب والمخاطر . ولم يكن البحر ، هذا العالم المجهول ، ليقف حجر عثرة أمام تحقيق المزيد من المنجزات العلمية ، فقد سبر العلماء أغوار أعماقه للإجابة عن سؤال طالما رددته الألسن ، وهو معرفة مدى تأثر البيئة في أعماق البحار بالتلوث ، وانعكاس هذا التلوث وتأثيره على الحياة النباتية والبحرية . وفي سبيل تحقيق ذلك عمدوا الى بناء قباب من البلاستيك في قاع المحيط لتغطية نوع يختارونه من النباتات البحرية ، حيث ينطلق اليها فريق من العلماء لتقصي الحقائق وإجراء الدراسات اللازمة على هذه النباتات البحرية من أجل المحافظة عليها في أعماق البحار .

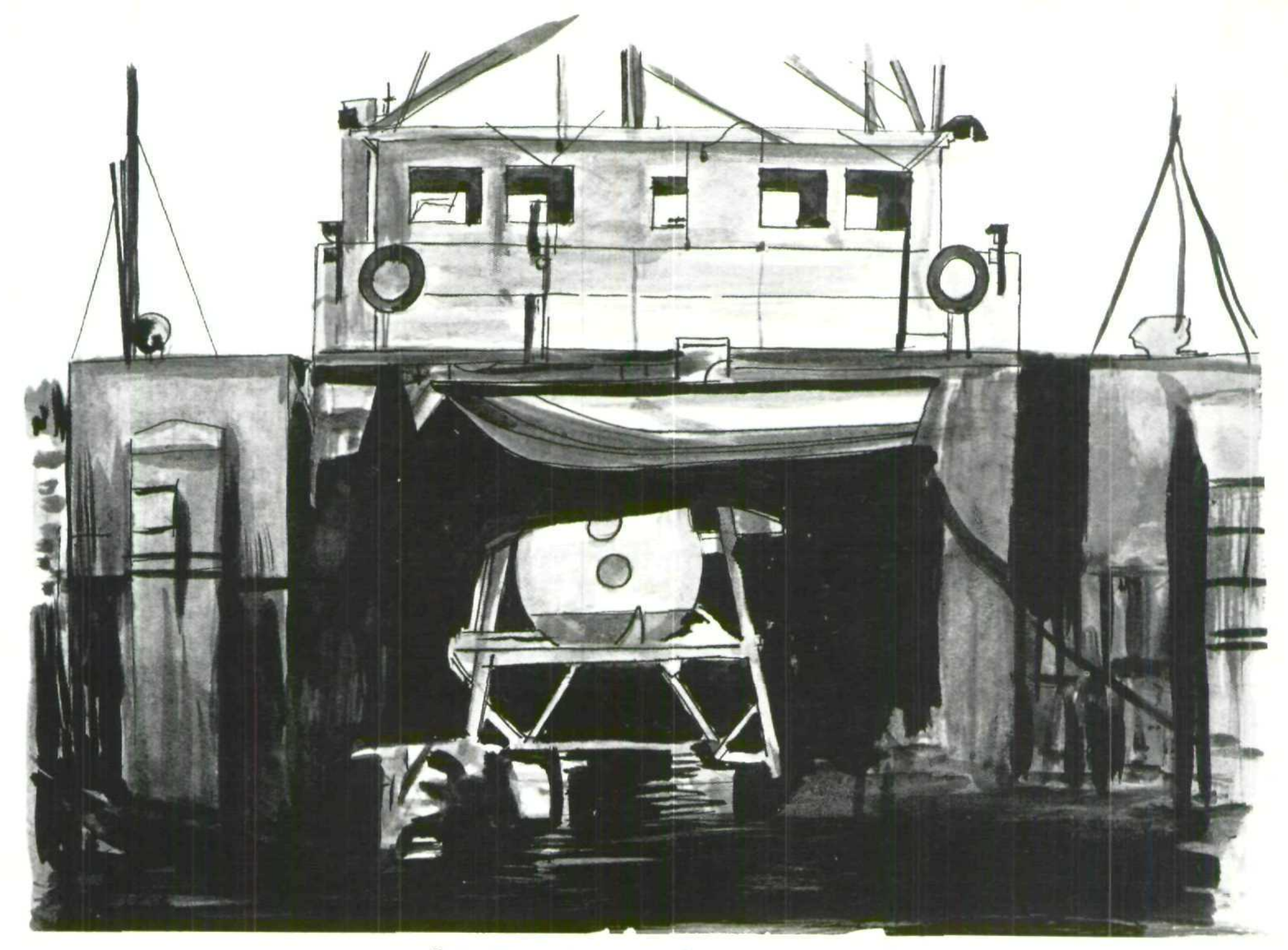
وهذه القباب الغريبة الشكل تقوم على رقعة في قاع المحيط ، اختارها الدكتور « مورغان ويلز » ، أحد علماء البيئة البحرية لدى كلية الطب بجامعة « نورث كارولينا » الأمريكية ليستكمل أبحاثه . وهناك وعلى عمق نحو ٦٠ قدماً ، كان هذا العالم يراقب حياة نوعين من المرجان الصخري ، أحدهما ينمو في مياه شبه نظيفة ، والآخر يختنق بين النفايات المترسبة في قاع البحر . ويقول الدكتور « ويلز » إن الهدف من هذه التجارب هو قياس التغيرات الكيماوية التي تطرأ على الخلايا الحية للنباتات . وعن طريق معرفة معدل التركيب الضوئي وعملية التنفس للنباتات داخل هذه القباب ، نستطيع التعرف الى ظروف المجتمع النباتي الموجود في تلك البقعة . وبما أن النباتات المرجانية الصخرية تتغذى على الماء فلا بد من أن تكون لديها حساسية شديدة لأية تغيرات قد تطرأ على البيئة التي توجد فيها . وكل ما نسعى الى معرفته هو مدى تأثير عامل التلوث على البيئة النباتية في قاع المحيطات .

لقد أمضى الدكتور « ويلز » جل وقته خلال هذه التجارب في تعديل أماكن تلك القباب التي يبلغ قطر الواحدة منها نحو ٤ أقدام ، ومراقبتها والتأكد من عمل المعدات فيها .

ولقد أجريت هذه التجارب في مطلع عام ١٩٧٢ كجزء من برنامج للأبحاث تقوم بالاشراف على تنفيذه ادارة أبحاث علم المحيطات الأمريكية . وقد استغرقت هذه الأبحاث ١١ أسبوعاً . وعلى سطح الماء ، كانت الباخرة الأم « لولو » وتبلغ حمولتها ١٠٥ أطنان ، تقوم بتزويد علماء الأبحاث في قاع البحر بحاجتهم من الطاقة الكهربائية ووسائل الاتصال بواسطة حبال خاصة . غير أن أكبر مشكلة واجهها العلماء خلال مهمتهم كانت مشكلة الضغط التي تعرضوا لها أثناء عملية الغطس ، لكنهم بالتالي استطاعوا التغلب عليها .

الباخرة الأم « لولو » ويبدو في القاع المنزل الذي يقيم فيه العلماء بضعة أيام أثناء مواصلة دراسة البيئة البحرية لمعرفة أخطار التلوث عليها .





المنزل «اديلهاب» ويتميز بكونه قابلا للتنقل من مكان إلى آخر .

ويصف العالم «ويلز» الحياة في قاع البحر فيقـول : انها شاقة ومرهقة وهي أشبه ما تكون بالحياة في بيت متنقل ضيق الأركان حيث ترتفع الرطوبة الى حد كبير . وكان المسكن عبارة عن اسطوانة حديدية يبلغ سمك جدارها حوالي بوصة واحدة . غير أن طلاب جامعة « نيو هامبشير » قد أدخلوا على هذا المسكن تحسينات كثيرة حتى أصبح يتوفر فيه كل وسـائل الراحة التي يحتاجها العلماء أثناء قيامهم بمهام أعمالهم في قعر البحر . وهذا المسكن هو عبارة عن اسطوانة في حجم شاحنة صغيرة على شكل حوض مفتوح من أسفله يرتكز على قوائم فوق قعر البحر ، ويتم افراغه من الماء بدفع الهواء الفائض الى أعلى السطح . كما أن معظم المعدات الموجودة داخل المسكن ثابتة ، وان المسكن بحد ذاته متحرك . فكلما دعت الحاجة الى الانتقال الى موضع آخر خلال فترة الأبحاث تتولى الباخرة الأم « لولو » نقله الى الموضع الجديد .

ان مشروع « ويلز » الآنف الذكر ، يعتبر واحداً من ثمانية مشاريع للأبحاث يزمع تنفيذها في قاع المحيط ، وقد اقتصرت مشاريع الأبحاث السبعة الأخرى على دراسة طبقات الأرض في قاع المحيط ، بالاضافة الى دراسة أنواع الحياة البيئية فيه وتصنيفها . وهذه الدراسات مماثلة للدراسات التي تُجرى في الوقت الحاضر على قيعان المحيطات في مختلف أنحاء العالم .

يبعد المكان الذي وضـع فيه « ويلز » قبابه البلاستيكية أول مرة ، كثيراً عن المنطقة التي تلقى فيها نفايات الفنادق المنتشرة في مدينة « ميامي » الساحلية ، إذ كانت تبعد عن المدينة حوالي ٢٢ ميلاً الى الجنوب بالقرب من بلدة « ايليوت كي » . وكان رفيق « ويلز » في مهمته هذه زوجته ، وهي عالمة في أبحاث المحيطات . انهما خبيران في أمور السباحة ، وهذه ناحية ضرورية بالنسبة للمهمة الـتي يضطلعان بها إذ عليهما أن يقضيا وقتاً طويلا في قاع البحر بين القباب لمتابعة أبحاثهما العلمية .

ان العمود الفقري للطاقة التي تحتاجها الشعاب المرجانية هو أسلوب من الترابط بين الشعاب والطحالب ذات الخلية الواحدة . وقد تكونت هذه الشعاب من مجموعات هائلة من الأحجار الكلسية التي كانت بمثابة مساكن لأعداد لا تحصى من الحيوانات البحرية البسيطة التي هجرتها عبر قرون طويلة مخلفة وراءها مخابئها السرية هذه والتي تكونت منها الشعاب .

تعيش الطحالب داخل خلايا الشعاب المرجانية وتتكاثر ، وذلك عن طريق التركيب الضوئي للغذاء . ولا يقتصر هذا الغذاء على الطحالب وحدها ، بل أنه يتسرب عبر الأغشية النباتية الى خلايا الشعاب المرجانية ، وهي وسيلة غذائية فعالة .

وجدير بالذكر أن عملية قياس التغيرات الكيميائية في الخلايا الحية داخل مجتمع الكائنات البحرية ، تتم بواسطة وضع احدى القباب

البلاستيكية فوق جزء من الشعاب المرجانية ، وعن طريق ضخ الماء الموجود تحت القبة عبر أجهزة تسجيل خاصة يمكن التعرف بها إلى الظروف الحياتية للكائنات الدقيقة والمجهرية القابعة تحت القبة . وعن طريق استمرار هذه العملية مدة ٢٤ ساعة ، ومن خلال درجة التركيب الضوئي أثناء النهار ، وعملية التنفس أثناء الليل ، يمكن تقرير ما إذا كان المجتمع الكائن تحت القبة يتمتع بالاكتفاء الذاتي . وهناك قراءات أخرى خاصة بالأوكسجين ، والكثافة ، ودرجة الحرارة ، وكلها قياسات رئيسية تساعد في معرفة ظاهرة التكاثر لدى هذه الكائنات البحرية .

هذا وكانت النتائج التي حصل عليها العالم « ويلز » وزوجته خلال أبحاثهما ، تشير الى أن الشعاب المرجانية في منطقة « اليوت كي » تعيش في ظروف حياتية ممتازة . وبعد أسبوعين من اجراء هذه الأبحاث وخاصة بعد أن اكتملت عملية جدولة هذه المعلومات ، كان الدكتور « ويلز » على استعداد للغطس في الموقع الثاني لاجراء عملية المقارنة وهي منطقة الشعاب القريبة من شاطيء « ميامي » .

لقد كانت المعلومات التي حصل عليها « ويلز » عن طبيعة المياه في أعماق أحد المواقع تختلف اختلافاً بيّناً عن المعلومات التي حصلوا عليها من موقع آخر رغم أنهما متشابهان . فقبل أن يبرز مدينة « ميامي » الى حيز الوجود كانت تينك البقعتان متشابهتين تماماً تقريباً ، من حيث العمق ودرجة الحرارة ، والأحوال المائية بشكل عام ، أما الآن فقد تغيرت الظروف البيئية فيهما . ولقد تساءل « ويلز » قبل أن يبدأ بعملية الغطس ، عما إذا كان الانسان بما أدخله من تغييرات على طبيعة هذه الشعاب ، قد أتلف قدرتها على انتاج كمية من الغذاء تفي بحاجتها ، وبالتالي دعم مجموعات الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى . كانت الاجابة التي حصل عليها « ويلز » تجمع بين الضدين ، اذ كان أول شيء لفت انتباهه هو حالة الشعاب في قاع البحر حيث كانت ناصعة البياض ، لكنه عندما أمعن النظر في تلك الشعاب المرجانية عن قرب ، اتضح له أن بعضها ما زال حياً بالرغم من التلوث ، لكنه لاحظ أن الطحالب التي تكسب الحيوانات البحرية البسيطة لونها كانت مفقودة ، ومن هنا أصبح واضحاً أن علاقة الترابط بين الشعاب والطحالب قد فقدت تمــاماً .

وبعد فان العنصر المهم الذي كشفت عنه هذه الأبحاث العلمية التي أجريت على الشعاب في قاع البحر هو عنصر مشجع للغاية . فقد وجد أن هذه الشعاب التي تعرضت لعوامل التلوث ، والتي كان من المتوقع أن تكون مجرد حجارة جامدة قد اكتسبت نوعاً من الحياة ، وان هناك عنصراً بديلاً قد طرأ على حياة هذه الشعاب مما يسمح لها بمواصلة الحياة والقيام بدورها الطبيعي بالنسبة لحياة الكائنات البحرية البسيطة ●

اعداد : ي . س — هيئة التحرير

عن مجلة « ساينس دايجست »

وجد العلماء ان الشعاب المرجانية التي تعرضت للتلوث لم تمت تماماً بل انها اكتسبت نوعاً جديداً من الحياة .



من عجائب الكون

الانسان والبحر

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . » (قرآن كريم)

بقلم : الأستاذ خليل هنداوي

البحر أعجوبة الأعاجيب . والشعراء ، في كل لغة تفننوا بوصف جماله ، وتصوير وخشيته في انطلاقاته ووثباته .

وهو أعلى مقاماً من الجبل ، عند الفنانين الذين شغلتهم منه روعة آفاقه التي لا تحد ، وفتنة ألوانه المتعددة ، المتبدلة .

لكن البحارة والعلماء الذين وعوا ، مدى عظمة البحر ، يعون أيضاً مدى قواه الهائلة التي تمثل دوراً مهماً في حياة الانسان المستمرة ، ومدى التكاثر بين سكان عالمه الرحيب الذي ينأى عن ناظرنا .

والرائد الذي يطأ شواطىء البحر ، ويجوب حياضه ، لا يملك من المعرفة بعظمته أكثر مما كان يملك ذلك الراعي القديم وهو يتأمل قبة السماء ، دون ان يتصور المساحات الشاسعة لهذا العالم الذي يحيا فيه .

ولو قيل له ان البحار تغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض ، لارتاب في هذا القول ، لأن مخيلته عاجزة عن أن تتصور مثل هذا الامتداد .

ان أعماق الاوقيانوسات ، في بعض الأحافير العميقة ، لمرعبة حقاً ، بحيث أن جبال الهمالايا ، اذا علاها الغمر ، فان قمتها العليا تتوارى تحت الفي متر من الماء .

ولا شيء يبدو مستحيلاً على هذه الكتلة البحرية ، حين تهتز وتتحرك ، اذ تولد قوى غريبة القدرة ، تتحدى الخيال .

والبحر لا يعرف الهدوء أبداً ، والأمواج تتلاطم ، بصورة دائمة ، على شواطئه ، تبعاً لتوازن منظم ثابت عجيب ، يمدها بحياة خفية لا تسكن أبداً .

وفي عباب الأوقيانوس ، تستطيع الأمواج الصاخبة التي تشكلها الرياح المتعاقبة عليها ، أن تبلغ من العلو ١٢ إلى ١٨ متراً .

وتلك المدن العائمة ، القائمة على شواطىء الأوقيانوس لا يمكنها أن تكون في منجى من مخاطرها ، اذ بامكان قوتها الجبارة أن تحطم القطع الفولاذية ، وتجعلها بين يديها هشيماً .

وتنساب الأمواج في فجوات الصخور ، تأكل من ذراتها ، وتفتت هيكلها المتين .

وأحياناً ، تقع كتلة الأمواج البحرية تحت أثقال هزات وزلازل أرضية ، فاذا بموجة واحدة ، أو أمواج عدة تنقضّ على الشاطىء بغتة فتغمر مدناً وتسحق قرى كاملة ، وتقذف ببعض السفن إلى اليابسة ، وتجرف بعضها عن مرافئها الأمينة .

فنار « مينوليدج » القائم في خليج بوسطن ، ويبلغ ارتفاعه ٣٥ متراً وقوة اضاءته ٧٥٠٠٠ شمعة تنير الطريق البحري للسفن .

خليج « ريو » في البرازيل ، ويعتبر من أجمل الخلجان في العالم ، ويبدو في المقدمة جانب من مدينة « ريودي جانيرو » .



كل يوم وعلى كل شاطىء ، تقريباً ، ينتفخ البحر مرتين ، ويتصاعد ، مهاجماً الأرض ، ثم ينسحب إلى مركز انطلاقه ، في ميقات يعادل انسحابه فيه مدى تصاعده .

والمد هو احدى عجائب البحر التي أذهلت الأقدمين ، وكان لا بد أن تظهر عبقرية العالم « نيوتن » والرياضيين المحدثين ، ليفسروا لنا ، أدق تفسير ناموس هذا المظهر المتواتر لهذه الذبذبات التي تنسجم ايقاعاتها مع جاذبية النجوم .

وقد يبلغ المد ، على بعض الشواطىء ، مدى عشرين متراً ، والمهندسون في عالمنا الحديث يحاولون ان يلجموا ، بقدر استطاعتهم فعالية هذا المد ، لذلك عمدوا إلى إنشاء السدود التي تحبس مياه المد عن الانتشار .

وهناك ما هو أقل روعة من هذا المد ، على أنه أكثر أهمية للانسان ، تلك التيارات البحرية ، المتولدة بفعل الرياح المتعاكسة ، ودرجات الحرارة المختلفة ، وملوحة الماء .

وتحركات المياه البحرية لا تزال أسرارها مجهولة حتى الآن . لكن ، في وسع هذه التحركات ، أن تقذف ملايين الأمتار المكعبة من المياه التي تبسط تموجاتها المتواصلة ، على أرضنا ، المناخ المعتدل الملائم لحياة الكائنات الحية .

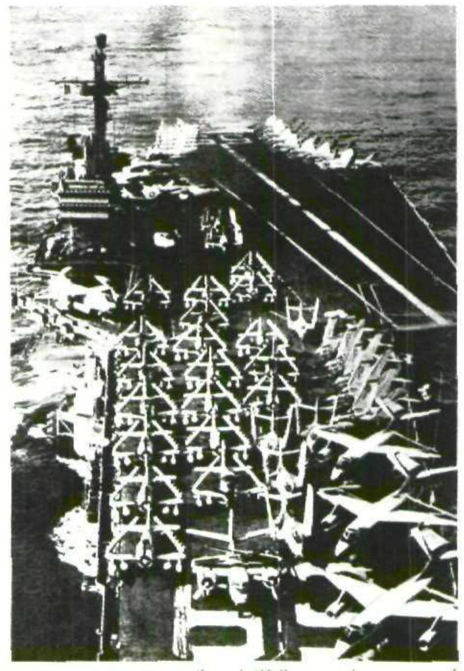
وأحياناً ، تتخذ أنهار حقيقية بغير شواطىء ، طريقها سرباً في البحر ، جارية عدة ألوف من الكيلومترات في عبابه ، وهي — في الوقت ذاته — يتميز ماؤها العذب عن ماء البحر المالح .

« وهو الذي مرج البحرين ، هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخاً ، وحجراً محجوراً » . (١)

وأحياناً ، تخلق عوامل المد ، والأمواج والتيارات المشتركة ، على سطح الأمواج أنواء عاصفة ، وتيارات دائرية خطيرة طالما ألقت الرعب في أفئدة البحارة قديماً ، لا بسبب خفاء سرها عليهم فقط ، بل بسبب المهالك التي تحيق بهم من جرائها وسط العباب .

من بين هــذه الحوادث المؤثرة بصورة خاصة ، نذكر ارتفاع مجاري الماء ، حين تتعمق في مجاري الأنهار ، والماء يدفع الماء ، فتبلغ سرعتها سرعة جواد يعدو خببا ، وتتجلى هذه الظاهرة في مجرى نهر « الأمازون » .

وفي غير مواضع ، تصبح هذه الظاهرة أكثر تعقيداً ، حيث تتوالى تأثيرات المد فيها باسطة أذرعها أربع مرات في اليوم .



احـدى حاملات الطائرات الضخمة تمخر عباب البحر ، ويبلغ طولها ٣٥٠ متراً وهي تتسع لإيواء مائة طائرة وقاذفة .

وفي مضيق « مسينا » على البحر الأبيض المتوسط ، تياران مخيفان ، أحدهما يجتذب البواخر إلى جوفه بحركة مرعبة ، والآخر ، على العكس ، يقذف بها خارج التيار . هذا للنجاة ، وذلك للهلاك .

والبحر ، برغم هذه النذر الرهيبة ، من تحطيم وبناء ، ورفع وخفض ، تتسم شواطئه بجمال رائع ، وكأنه نحات بارع ، يحسن أن يبرز قيمة أشكاله ، ومنحوتاته التي ينقشها على الصخور ، فهو ، حيناً ، يقطع الصخرة قطعاً عريضة تتدحرج كتلاً تاركة مراكزها عمودية . وحيناً آخر ، يجعل من الصخرة أشكالاً مختلفة ، على شكل قوس مبرية .

وبعض الصخور تتشكل تبعاً لمخطط مرسوم ، والأرض تغوص في الماء ، بهيئة سطوح عريضة ، منحنية .

وفي بعض المواضع ، نرى الأمواج تعض الصخور القاسية ، المتحجرة على أشكال أعمدة منشورية ، وتبعثرها كتلاً ضخمة ، على هيئة العمالقة .

وهنالك بعض الكتل الصخرية التي تحدت وثبات الأمواج عليها ، ولبثت في أماكنها كأنها ببروزها ، وثباتها ، تضع حداً للعالم المأهول ، في وجه العالم المجهول .

هنالك ، نجد البحر يواصل انقضاضه ، بهجماته الأكثر ضراوة وعنفاً ، على عالم الصخور ، حتى يفتت رؤوسها إلى جزر صغيرة ، تنسحب شيئاً فشيئاً إلى عرض البحر .

وفي بعض المناطق ، قضى البحر على الأودية الثلجية القديمة ، وشكل له أذرعاً عدة ، بين حنايا الجبال .

وتحت أغوار مياه البحر النقية الصافية ، تشاهد العين أعجب العوالم الخفية ، حيث تفور أسراب الأسماك ، من كل لون بهيج ، وشكل غريب ، يفوق عددها أعداد طيور اليابسة .

ورواد الأعماق ، شقوا الطريق لنزهات يقومون بها تحت الماء ، حيث يمثل هذا العمل أكبر ظفر في العصر الحاضر ، يتمثل فيه انتفاع الانسان بالبحر حق انتفاع .

والانتفاع من البحر هو عمل جبار كلّف الانسان ، أن يبذل ، منذ فجر الخليقة ، عبقريته وطاقته ، وأن يلجأ إلى حيل فنية متعددة ، استطاع بها أن يغوص في عوالمه المتعددة .

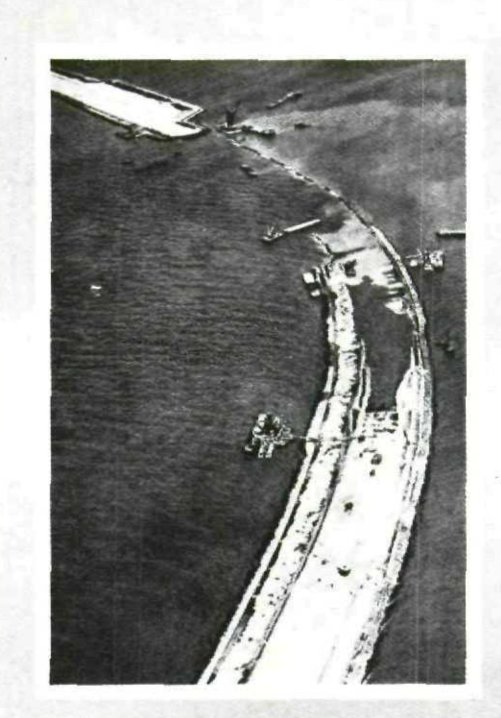
وان من العجائب البحرية في العالم القديم تمثال جزيرة « رودس » الذي يحمل على ذروته منارة لارشاد السفن الذي استغرق بناؤه اثنتي عشرة سنة ، وبلغ ارتفاعه ٣٢ مـتراً . ومنارة الاسكندرية التي شيدت على جزيرة تدعى « فاروس » قرب الاسكندرية ، رفع عليها منارة تضيء للسفن ، فتهتدي بها من بعيد .

واليوم نرى شواطىء البحار مغروزة بالمنارات التي تنبض بالأنوار بصورة دائمة ، للسفن الماخرة ، مما لا تعد حيالها منارات الأقدمين شيئاً . وبعضها قد شيد في مزالق عسيرة ، كمنارة « ارمين » البريطانية التي أنشئت على صخرة لا يمكن بلوغها إلا في أيام معدودة من السنة .

ولكن الانسان — قبل أن يهتدي إلى ابتكار المنارات — استخدم كل الوسائل التقنية في صناعة السفن ، وعلى كر الزمن ، استطاع ان يتفنن في أسباب صناعتها . والصناعة البحرية أنتجت من روائع السفن الكثير ، وليست السفن الشراعية الحديثة بأقل أصالة من عمالقة البحار الحديثة .

ولكي يؤوي الانسان سفنه ، ويحميها من هيجان البحر ، عمد إلى إنشاء المرافىء ، مستغلاً في البداية ، الفجوات الطبيعية ، كمصبات الأنهار ، والكهوف المجوفة العميقة ، ثم بدأ يشق الأحواض لها ، ويعد الملاجىء الصناعية التي تقيها عواصف البحار .

(١) سورة الفرقان



مشهد لهولندا قبل اقتحام نهر الراين لها في سنة ١٩٥٦م .

مشهد شبه عام لقناة السويس ، وهي ممر حيوي يربط بين قارات آسيا وافريقيا وأوربا .

ومشهد هذه المرافىء ، وهي تعج بنشاط نقل البضائع وتفريغها ، ورجع صفير السفن ، غادية رائحة ، من المشاهد التي طالما ألهمت الشعراء . وبفضل الآلات المتطورة حفر الانسان الحواجز الطبيعية ، ووصل بين بحر وبحر وربط قطراً بقطر ، « كقناة بناما » و « قناة السويس » حتى تختصر السفن المسافات الطويلة ، وتتجنب دورات بعيدة . وهذه الأقنية الصناعية تعد من روائع الأعمال البشرية في القرنين الأخيرين .

ولكن الطموح الانساني لم يقف عند هذا الحد ، فان مناطق شاسعة من الأراضي الزراعية قد مهدت واستصلحت بعد اغتصابها من أشداق البحر ، كما نرى في الأرض المنخفضة بهولاندا .

وفي مناطق أخرى شق المهندسون مسارب تحت الماء وحصنوها بصخورها نفسها ، واستغلوا مقالعها الحجرية على الشاطيء .

وبعد هذا كله يحضن البحر في أغواره ثروات هائلة ، والتقنية البشرية اصبحت تملك ، منذ زمن يسير ، الوسائل الفعالة لاستغلال هذه الثروات والانتفاع بها .



قبل شق قناة « بناما » كان العبور من البحر الاطلنطي إلى البحر الباسيفيكي ، بطريق رأس « هورن » أو مضيق « ماجلان » محفوفاً بالأخطار .

ان المنطقة الجنوبية من أمريكا منطقة لا تستضيف أحداً ، تشغلها من الغرب سلسلة جبال « الأند » الشاهقة ، ومن الشرق تحف بها مناطق مهجورة .

والشاطيء الباسيفيكي مقطوع بمهوى عميق مخيف ، لا تكاد تعبره السفن الا بشق الأنفس ، وفي عرضه جزر لها أشكال غريبة ، وفي المضايق التي تفصلها عن اليابسة يجري المد بسرعة نهر دافق .

والأرض الامريكية ممدودة نحو الجنوب الشرقي ، بما اسموه بـ « أرض النار » وكلا المشهدين متشابهان ، وبينهما مضيق « ماجلان » الذي وجد به ذلك البحار البرتغالي طريقاً جديداً ، يفضي إلى الهند ، أثناء رحلته المشهورة التي قام بها حول العالم .

والممر كثير المخاطر ، والمزالق ، لأن المجرى الذي يلتوي بين الجبال ينشيء اعوجاجات مفاجئة ، يعسر على البحار التحكم فيها .

وغالباً ، يسيطر الضباب ، ويرخي سدوله الساكنة على سطح البحر ، الا اذا هبت عليه ريح صرصر من الأعالي ، فتعمل على تبديده .

كذلك الأمر في عبور مضيق « هورن » الذي ليس هو بأقل خطراً . فجزيرة رأس « هورن » التي تشمخ قمتها إلى ارتفاع ١٥٠ متراً فوق عباب الأوقيانوس الاوسترالي تقع على بعد ٩٠٠ كيلومتر من ارض « جراهام » .

ومضيق « دريك » الذي يفصل بينها هو الممر الوحيد الذي يسمح به هذا الاوقيانوس .

انه ملتقى التقلبات الجوية العنيفة . وفي رأس « هورن » تمطر السماء مدراراً ، أو تثلج ٣٠٠ يوم في العام . وفي مدخل مضيق « ماجلان » تمطر السماء كل يوم .

وفي عرض مضيق « هورن » تهب عواصف مفاجئة ، طالما روّعت كثيراً من البحارة الآمنين . واذا هدأت العاصفة ، حلّ بعدها ضباب كثيف يغطي وجه الأوقيانوس ..

وهكذا كان البحارة الأقدمون ، يشعرون بخوف عميق ، لمجرد التفكير في عبور هذه المناطق التي أصبحت اليوم شبه مقفرة ، منذ شق الانسان لسفنه ممرات أخرى للعبور .

قناة بناما

منذ أربعمائة سنة فكر الرواد الاسبان الأوائل في شق قناة تصل البحر الاطلنطي بالبحر الباسيفيكي ، وفي نهاية القرن التاسع عشر خططت شركة افرنسية لحفر القناة ، ولكنها أفلست قبل أن تباشر عملها ، وباعت امتيازها واسهمها إلى الولايات المتحدة باربعين مليون دولار . ثم أنجز العمل فيها سنة ١٩١٤ على أيدي المهندسين الامريكيين البارعين .

وقناة « بناما » هي عمل جبار ، يسمح للسفن ذوات الـ ٣٥٠٠ طن بالعبور من المحيط الاطلنطي إلى المحيط الهادي ، مختصرة نصف المسافة التي كانت تستغرقها حول رأس « هورن » .

ويعتبر تصميم هذه القناة آية في الروعة ، إذ أنه يعتمد على عملية فنية معقدة ، تجعل منه أروع عمل فني عرفه العالم .

وفي بحيرة « غاتكون » تجتاز السفينة ٥١ كيلومتراً قبل أن تبلغ مصب « كولبرا » الذي يبلغ طوله ١٤ كيلومتراً وعرضه ٩١ متراً .

وسدود القناة الجبارة يبلغ طولها ٣٠٥ أمتار وعرضها ٣٣,٥ متراً .

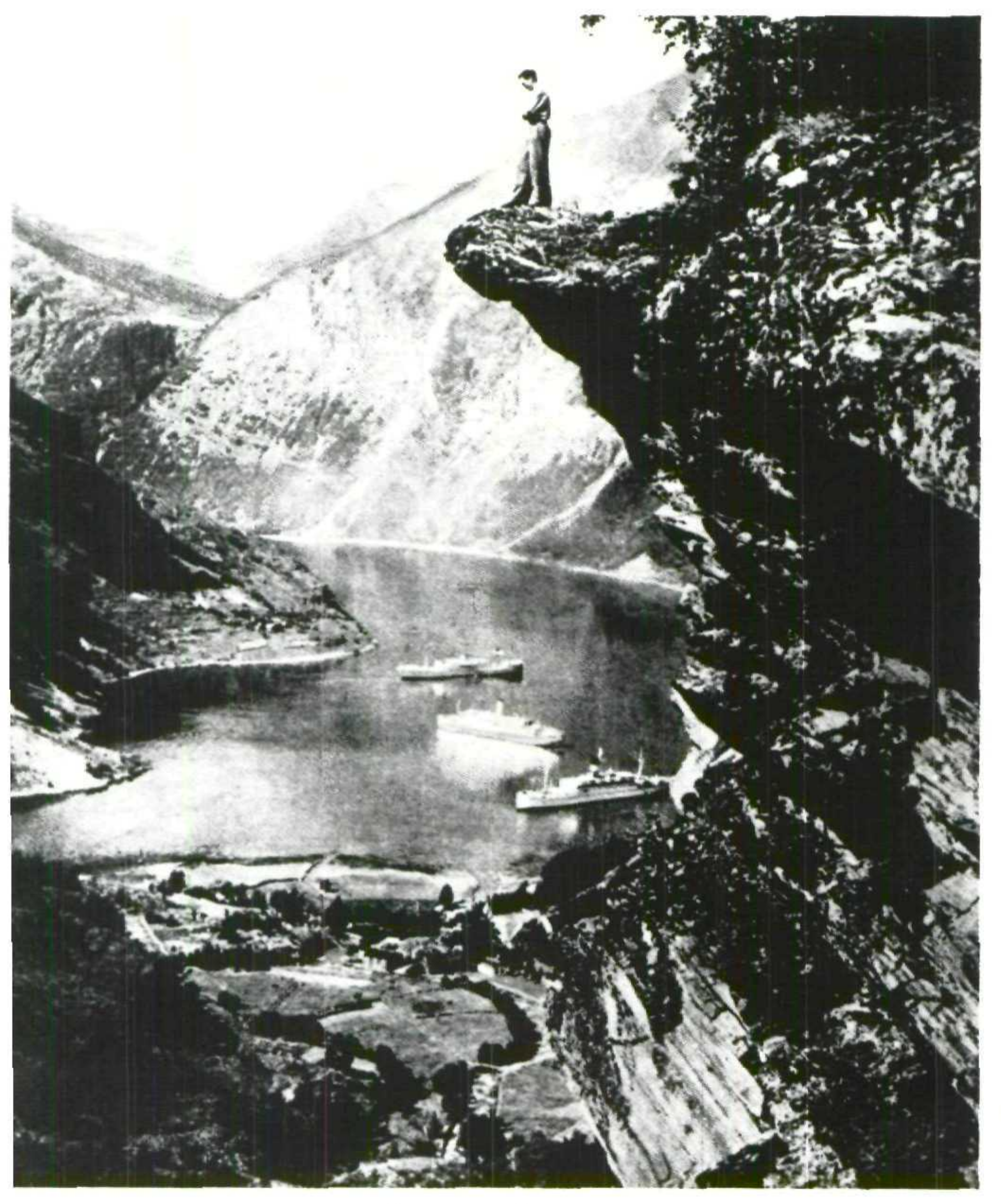
وهي اليوم لا تسمح بعبور ناقلات الزيت الضخمة ، وحاملات الطائرات الكبرى .

ويقوم بناؤها على سدين ينتصبان على طرفي القناة ، يرفع بواسطتهما مستوى الماء ، أو يخفض لاختلاف ارتفاع المياه بين البحرين ، وبين مياه بحيرة « غاتكون » الواقعة وسط القناة .

على أن هذه السدود تبقى هدفاً ملائماً للقنابل النووية . وقد بدءوا اليوم بتخطيط ما فكروا فيه من قبل ، لتوسيع مجرى القناة وتعميقها بالاعتماد على تطور الوسائل التقنية الحديثة .

قناة السويس

وإذا كانت قناة بناما معجزة العالم الجديد ، فان قناة السويس معجزة العالم القديم ، وهي تمتد من بورسعيد حتى بور توفيق القريب من السويس ، وتربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، وتعتبر أهم شريان ملاحي في العالم ، يبلغ



مسايل « نور فيجية » تنساب في بقاع جبلية تحيط بها بعض الغابات .

طولها ١٧٣ كيلومتراً ومتوسط عرضها ٦٠ متراً وعمقها ١٣ متراً .

وفكرة ربط البحرين بقناة ، فكرة قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد . وأول قناة حفرت قناة تربط النيل ببحيرة التمساح ، وكانت ، اذ ذاك ، الطرف الشمالي للبحر الأحمر ، ولكن تراجع البحر – بصورة دائبة ، كان يضطرهم إلى مدها وتطهيرها من جديد .

وعند فتح العرب مصر كانت القناة مردومة ، فأعاد عمرو بن العاص حفرها ، وسماها « خليج أمير المؤمنين » . وظلت تؤدي الغرض منها حتى ردمت سنة ٧٧٠م أيام الخليفة المنصور الذي لم يحفل بالاستفادة منها .

أما القناة الحديثة التي تصل البحرين بطريق مباشر ، فقد استغرق حفرها ومدها عشر سنين .

الأرض التي انتزعت من أشداق البحر

ليس من قبيل الغلو ان نقول : ان هولاندا اعجوبة بحرية عالمية . تقوم أرضها بأود شعب من أكثر شعوب العالم كثافة .

ولا شيء امتع للنظر من مشاهدة هذه الأرض المستوية ، حيث لا ترى العين فيهانشزاً مرتفعاً .

ولكن هذه الأرض الخصيبة قد انتزعت من أرض غير مضيافة سلخ ثلثاها من قاع البحر .

ونصف هذه الأرض ، قائم تحت سطح المد العالي ، تحميها سدود لا يستطيع البحر اقتحامها .

ان هولاندا هي دلتا واسعة تنبسط على ملتقى ثلاثة أنهر : نهر الرين ، والموز ، والايسكو ، وشأنها شأن كل دلتا ، ذات بروز متحرك بصورة دائمة ، والأخطار تحف بها .

وهي صامدة ، في أعماق بحر عارم ، يبلغ المد فيه اربعة أمتار في بعض المواضع .

وبلا انقطاع ، تحمل الانهار اليها ترسبات ، وطمياً جديداً ، تعمل على رفع أرضها حتى تصل إلى ارتفاع يتراوح بين ثلاثين متراً وخمسين متراً عن سطح ذلك المد .

ولكي يحمي الانسان هذه الأراضي الجديدة عمد إلى إنشاء سدود حول المناطق المستجدة ، ونقاها من أملاح البحر ، وكافح ترشحات الماء ، واستصلح أراضي واسعة للزراعة .

ان تاريخ هولاندا هو كفاح دائم ضد البحر ، يوم لهم ويوم عليهم . وكانت ثمرة الجهود استصلاح الأراضي التي تحميها السدود . ومنذ القرن الثامن عشر ، أنشئت مساحات واسعة من الأرض الصالحة . وكان للطواحين الهوائية فضل في تجفيف هذه الأراضي التي أعطت هولاندا هذه المشاهد الخلابة .

ومنذ القرن الثامن عشر ، تقوم الدولة بانشاء السدود ، ولكن هذه الجهود كلها غير مستقرة ، لأنها عرضة للخطر في كل حين .

وتلك هي الانشاءات التي بنيت على بحيرة « فليفو » توالت عليها النكبات الطبيعية وكان آخر العهد بها نكبة ١٩٥٣ حيث كان حصدها أن غرق ألوف من الناس وطويت أراض واسعة تحت الماء .

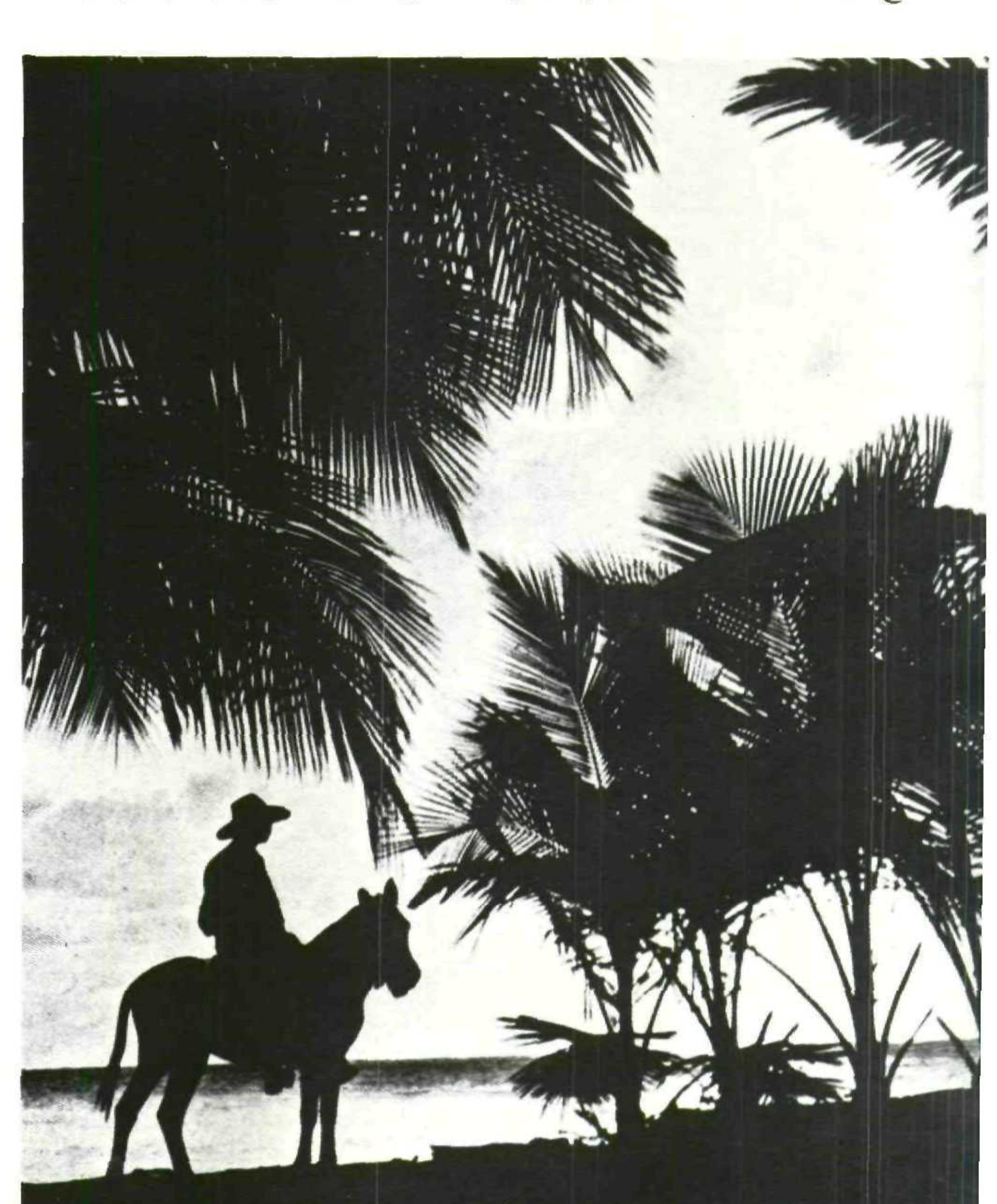
لذلك ، نرى هولاندا ، دائماً تحيا في حالة حذر وخوف .

والليالي من البحار حبالى
كل يوم يلدن كل عجيب

• • •

ما كان أعجب هذا البحر ! ولكن كم كان أعجب منه هذا الانسان ، الذي وهبه الله العقل والذكاء ، ليمد سلطانه في البر والبحر والفضاء ! ●

خليل الهنداوي – حلب



جانب من جزر «المارتينيك» في البحر الكاريبي .

قصة قصيرة

هنا في قلبي

بقلم: السيدة جاذبية صدقي

دائماً دائماً في خيالي دنيا .. وعلى بالي عالم .. ومنقوشة في أعماقي جنّة أريد أن أسعد بها ! دنيا .. عالم .. جنّة صوّرتها أحلامي في نومي وفي يقظتي – أين أجدها . ؟

قررت أن أنفق عمري في البحث عنها . فأحياناً تهفو عليّ منها – من تلك الجنة – نسمات منعشة ، عطرة ، تنشيني بعد أن ترطب جبيني ، كأنما هي اصبع الرحمن تمسح تقطيبة الجهد والقلق عنه ، فأجدني وقد انفرجت أساريري وابتهجت نفسيتي .

وأنا انسان عادي ، أتممت تعليمي بشق النفس كبقية الشبان في مثل سني أبناء الطبقة الكادحة . ثم جاءت اللحظة الحاسمة من عمري عندما وقفت ، كفرخ طائر نما ريشه واستقوى جناحاه – وقفت على حافة الدنيا الرحبة الفسيحة أتأملها برهة .. تهزني رعشة وفرحة .. قبل أن أندفع ألقي بنفسي فيها .

ودارت بي الدنيا ، ودرت بها ، ولفتني الدنيا ، ولففت بها – بكل ركن فيها ! تاجرت وربحت .. وخسرت .. وخدعوني ، وتزوجت . وسعدت .. وشقيت .. وهجروني ! عدلت فظلموني ، سخوت في العطاء فحسدوني ! أين دنياي التي شاغلت أحلامي ، ولا تزال تشاغلها وتملؤها ؟؟ دنيا لا حقد فيها ، دنيا يسودها حب وتسامح ! أين أين ؟

ربما ظننتموني مجنوناً أخرف ، أو على الأقل حالماً خيالياً أثرثر . لا ، والله . لا هذا ولا ذاك . فلا المجنون ولا الخيالي المحض ينجح في حياته كما نجحت أنا ، ويثرى كما أثريت أنا ، ولكن ، أنّى لكم ان تعرفوا ذلك ؟

لنبدأ من البداية .

قال لي عقلي : دنياك تلك تجدها في عمل مجهد طويل .. هيا !

ولم أتردد . كانت أول وظيفة عرضت عليّ .. أنا .. كانت وظيفة حمّال في الميناء ! وكانت معي ساعتئذ لمة من زملائي نروّح عن أنفسنا بالتجوال على الشاطيء . وقد حفيت أقدامنا في البحث عن وظيفة لائقة . فسخروا مني عندما قبلت ما عرضه عليّ « المعلم » ذو



الشارب المفتول والسروال الواسع يضمه إلى خصره بأمتار من نسيج أسود عريض . لم لا ؟ أليس خيراً من صحبة متعطلين يملؤهم الغرور ؟

وأكببت على عملي الجديد بهمة وحماس وعاشرت الحمالين فعلموني أسراراً عن دنيانا ليست موجودة في كتب الجامعة . ولقنوني حقائق عن طبيعة البشر يبدو أن الثياب الأنيقة تخفيها . وسقوني جلدا . . ومثابرة . . وصبرا ! فسعدت . وكادت حياتي تهدأ وأستكين . ولكن الحيات كانت تحت ثيابهم . كامنة بين ضلوعهم . من وقت لآخر تطل حية غدارة من فم أحدهم لتلدغ زميلاً بغتة لدغة مميتة ! أو تنسل إلى دمائه تنفث سمومها . فيهب الرجل بطاشاً مخادعاً ! وأتأمل أنا الضحية بقلب ملتاع . وأدور بعيني حولي يائساً مخذولاً . ففررت . كنا نفرغ شحنة بضائع من سفينة تجارية رست منذ ثلاثة أيام . عندما ناداني ربانها وعرض علي الالتحاق بطاقم « النوتية » الذي تحت إمرته .

فلم أتردد . ورحلت بي السفينة إلى عرض البحر . وطويت صفحة من حياتي . وفتحت صفحة جديدة . وفتح الله علي ، فعملت في التجارة وتدفق المال علي . وطفت بلدان العالم واشتريت سفينة ثم سفينتين . وأضحى معارفي من صفوة القوم . وطعامي من صفوة الطعام . وثيابي من صفوة ما نسجت أصابع وأبدعت آلات . يحف بي خدم . وتقف على باب قصري سيارات — وقلبي هو هو . . . وبالي هو هو . . . وفكري هو هو : مشغول . . حيران . . قلق . يتلفت حوله أينما حل باحثاً متلهفاً أبداً على تلك الدنيا التي رسمها شوقه وصورتها لهفته . دنيا فيها الود صافياً خالصاً . دنيا لا حقد فيها . . ولا حسد . . ولا خداع ! دنيا لم أعثر عليها مع أنني تقلبت بين كل الناس . . . وهبطت السلم وصعدته . . وتوقفت فوقه . . وتلفت يميناً وشمالاً ، ألقي بنظري بعيداً عبر البحار والسهول والوديان — حتى السماء ألقيت اليها بعيني تخترقان السحب والغمام وتسبحان في الزرقة اللانهائية باحثتين أبداً ، ضارعتين أبداً !

وخيل إلي في لحظة ما صفت فيها روحي وشفت ، ولفتني شاعرية وروحانية — خيل الي أن قلبي صحا . انتفض وكنت قد نسيته عمري طوله . شغلت عنه بتجارتي . . وأسفاري واصحابي ! فذكرني بنفسه فجأة . فابتسمت واتسعت ابتسامتي . بل ضحكت فرحاً ! وجدتها . وجدتها ! دنياي . . جنتي — في الحب !

واستدرت من الشرفة حيث كنت واقفاً وحدي ساعتئذ . ودخلت القاعة المرمرية الكبرى في قصري والتي كانت تتلألأ بأنوار تشع من الثريات . نعم . فقد كان ذلك حفلاً من حفلات عدة اعتدت أن أقيمها لاصدقائي وزملائي . استدرت من الشرفة ، ودخلت القاعة الصاخبة انساناً آخر يملؤه أمل ومرح . ويشرك الجميع أكلهم . . وشربهم . . وسرورهم — غير صاحب القصر الصموت المنزوي الذي عرفوه دائماً بنظرته البعيدة الحالمة والذي كان يقيم الولائم كضرورة من ضرورات عمله !

ولقيتها — انسانة ما أحسب الله تعالى خلقها الا لتضيف إلى بهاء الدنيا . . بهاء ! كأنها طاقة زهر نضد على صدر حسناء . بدت لعيني المشتاقة ياسمينة على غصنها . وتراقص قلبي مشدوداً نحوها .

تزوجتها وأسبغت عليها كل ما يمكن أن يسبغه محب على محبوبته ! وسعدت بي وسعدت بها . ولم يحرمنا الله نعمة الأولاد . ثم جاءتني يوماً بجمالها وبهائها . وفي لحظة صفاء قالت لي ببساطة كأنما تنقل الي خبراً ما عن الجيران . قالت لي وهي تتأمل أنملة عنابية بعناية قصوى :

— « اسمع يا محمد — أنا أحب ! »

فغرد قلبي . وقال لي :

« هاك دنياك . . عالمك . . جنتك ! لقد صدق حدسك — الحب . الحب ! »

فهمست في أذنها بصوت حالم :

— « أنا أيضاً يا حياتي . . يا جنتي — أنا أحبك ! »

فتراجعت تتحسس خصلة من شعرها الناعم وهي تقول :

— « لا . . لا ! لا تفهمني خطأ ! أنا . . أنا أحب غيرك ! »

فشعرت أن رأسي أتون . . وأن حلقي صحراء جافة . . تحترق . . تتلظى . . وأن دمائي إبر حادة . . صغيرة . . كثيرة . . تسري في عروقي ! وهبت علي ريح قوية . . حارة . . ملتهبة . . سعيرها انتقام . . ونار . . وثأر .

— « هكذا . يا بنت الناس ؟ »

وقالت لي هي :

— « هكذا . يا ابن الناس ! »

— « بعد كل ما جرى بيننا ؟ »

فأومأت :

— « بعلمك خير من وراء ظهرك ؟ »

وسمعت عقلي وسط الزوبعة العنيفة المجلجلة يعزيني ويربت كتفي :

« صدقت المرأة . خير هكذا . دعها ! »

وتركتها بمعروف .

وجررت حياتي الحافلة وأغلقت علي حجرتي . ورحت أستعرض ما مر بي . . ومن مر بي . . ومن غدر بي ! كان كل منهم يربت كتفي بابتسامة هازئة . ويقول :

— « قلبك طيب والله . يا فلان ! »

. . . . كأنما هي سبة . . عار . . رذيلة . . كأنما هو تعبير مهذب لكلمة « مغفل » !

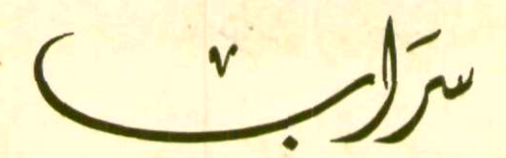
أطيبة القلب غفلة ؟ لم أدر . كل ما أدريه أنني لم أنتقم مرة من أحدهم . . ولا أنا حقدت عليه . . ولا أنا أخفيت له في زاوية من قلبي ضغينة ! لم أظلم يوماً مخلوقاً . . ولا أنا هضمت مرة حقه . . ولا سلبته مرة مالاً . . او عقاراً . . ! ظل قلبي طاهراً . . صافياً . . رقراقاً ! ظل ودي للبشر جميعاً شفافاً . . عذباً . . مسامحاً ! قدرت محاسنهم . . وحدبت على ضعفهم . . وعطفت على أخطائهم ! وظللت عمري طوله أنام الليل راضياً . هادئاً . مطمئناً . نعم . ظلموني هم . . وسلبوني هم . . وخدعوني هم ! لكنني لم أرد ظلمهم بظلم . . ولا حقدهم بحقد . . ولا خديعتهم بخديعة ! فقط كنت أهب أبداً عن كرم .

هنا ضممت ذراعي فجأة وبشدة على صدري . تهزني فرحة ! فقد تكشفت لي فجأة الدنيا التي بحثت عنها طويلاً . وحلمت بها عمري كله !

وجدتها بين ضلوعي . منزوية بين حناياي — دنيا فيها صفاء البحيرات . . وعذوبة الفاكهة . . وأمن الحمائل الظليلة ! دنيا فيها هدوء الانسام . . وشفافية السحب . . وطلاوة الأغاريد ! دنيا أنام فيها ملء جفوني . لا تمضني ضغينة ولا يقلقني حقد ! جنة سماؤها ود . . وماؤها تسامح . . وعبيرها حنان للناس كلهم . !

وجدتها . . تلك الدنيا . . تلك الجنة . . وجدتها في قلبي . . . هنا ! ●

جاذبية صدقي — القاهرة



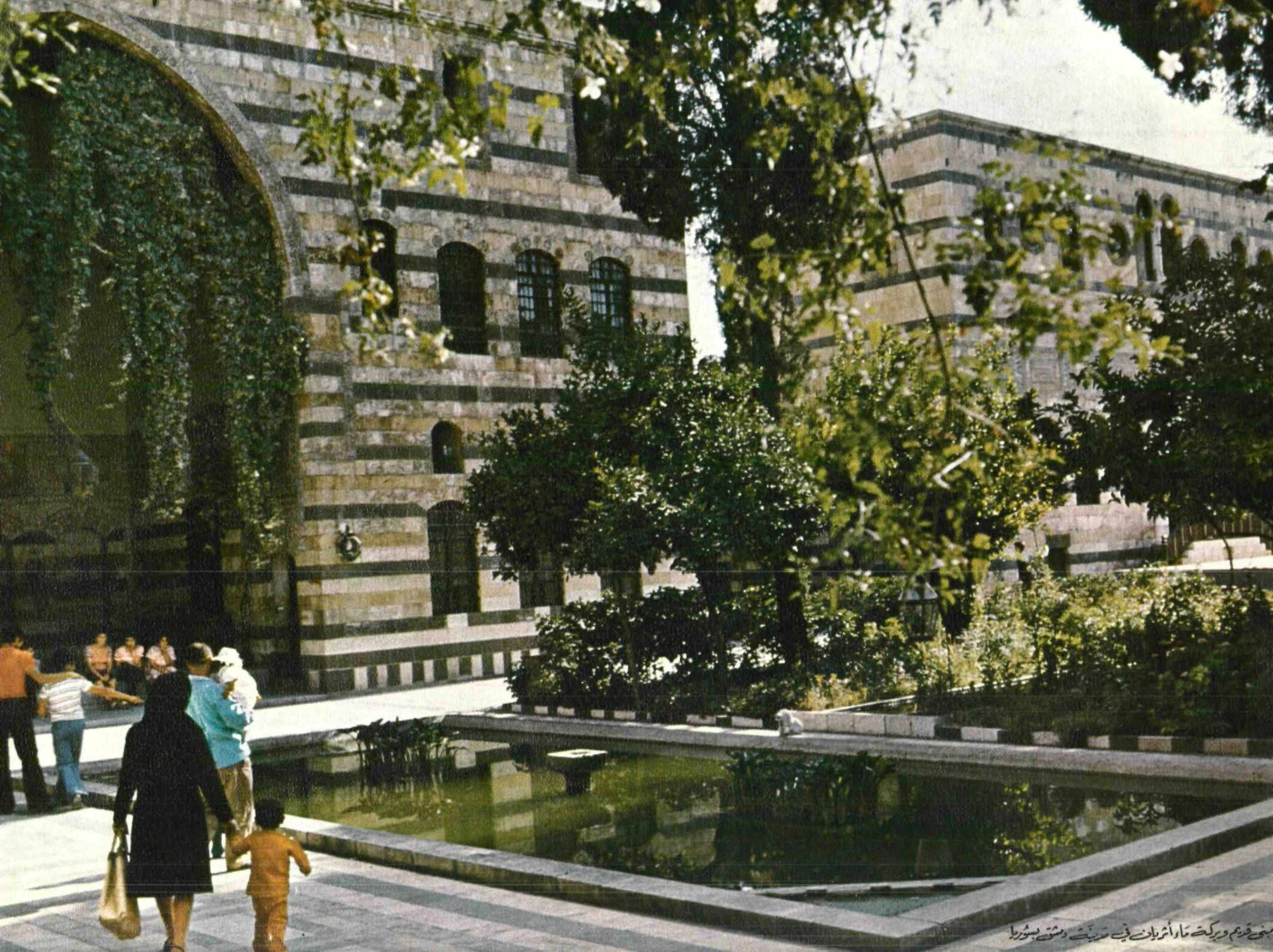
سراب

للدكتور: حسين مجيب المصري

يا عبير الزهر ماتت زهرتك — يا حرير البحر نامت موجتك
يا غناء الطير أغصان ذوت — يا ضياء البدر شابت ظلمتك
يا رواء الشعر روح أغلقت — يا خفاء السحر لاحت طلعتك
يا نداء القلب اذن ما وعت — ليت صمتاً للمنايا خفقتك
يا لهيب الحب نار أخمدت — ليت كوماً من رماد شعلتك
ابتئس يا قيس ليلى ودعت — فلتطل بعد التنائي حسرتك،
يا فؤادي والبحار طمرت — فلتكن من دمع عين نهلتك
هذه الدار طلول هدمت — واليها بعد يأس لفتتك
إنما الأيام ريح قد مضت — اتصد الريح يوماً وقفتك
وغيوم شمس صبح كفنت — لن تضيء الكون صبحاً شمعتك
ونجوم من ليال بعثرت — وتمنتها عقوداً حبتك(١)
وهموم كجبال اطبقت — وتوارت في كهوف بسمتك
ورسوم في خيال أحرقت — وتوالت ثم دامت حسرتك
ليت شعري أي جدوى نلتها — بدموع أسبلتها مقلتك
يا لعمري أنت قد ضيعتها — في سراب كذبته قفرتك
مثل در نادر القيتها — هل احاطت حسن جيد درتك
ولديك النار كم أشعلتها — هل تبدت فوق طود شعلتك
في صميم القلب إن أطفأتها — رأت النار ضياء ليلتك
زفرات كنت ان صعدتها — أحرقت ألف جحيم زفرتك
لا عليك اليوم إن أرسلتها — نسمات عطرتها روضتك
أو إلى قلب الهوى أسررتها — همسات اسعدتها فرحتك
قل أجبني يا شهيداً للأسى — من ستشجيه بقبر رقدتك
سيمر الصبح يتلوه المسا — وستنسى في الحياة شقوتك
وسيرسو زورق مما إن رسا — حين تغفو عند قاع حيرتك
مر ما قد مر ، اين ما مضى — وبساط العمر تطوي خطوتك
في ليالي الحب حلم وانقضى — بعد أن لاحت كفجر شيبتك
لن تعوق الغيث إن غيث همى — وإذا حاولت خابت حيلتك
لن تميت الموج ان بحر طما — ولتحطمه رذاذاً صخرتك
أترد السهم يمضي طائراً — في الدجى كي تحتويه جعبتك
أتصد الطيف يأتي زائراً — في منام حين تحلو غفوتك
كان هذا الدهر دهراً غادراً — إن نسيت الغدر غابت فطنتك
كل ما أخفاه يضحى ظاهراً — إن رأته ذات يوم حكمتك
وتناسيت لتبدو ناسياً — وترى ما أنكرته قولتك
وحسبت الآل يروي صادياً — فاذا طوفان نوح قطرتك
ورأيت الريح تكسو عارياً — فاذا بالنار فيها جنتك
وخدعت النفس لكن ربما — جرعتك السم شهداً خدعتك
ووجدت اليأس ليلا مظلماً — بعد ان كانت صباحاً منيتك
أنت لا تحيا وحيداً في الورى — أتكون بين جمع عزلتك
لا يخون السمع أو عين ترى — إن تجافت عن صواب فكرتك
عش على الأرض ودع عنك السما — ربما ترتد عنها طفرتك
أي خير ترتجيه بعد ما — تورد الروح هلاكاً سقطتك
إنما دنياك كانت دوحة — تثمر المر تهاجت غضبتك
رحت تسقيها شهادا حلوة — وبطعم المر طالت غصتك
كنت تدري ، ليس هذا غفلة — وبخدع النفس ساءت فعلتك

---

(١) حبتك : حبيبتك



مبنى قديم وبركة ماء أثريان في مدينة دمشق بسوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ
لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞
ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞

صدق الله العظيم

